تاريخ الفرق والجماعات في الإسلام

دراسة وتحليل

د. غادة لطفي محمد حسان

الكتاب: تاريخ الفرق والجماعات فى الإسلام
الكاتبة: د. غادة لطفي محمد حسان

تصميم الغلاف: محمد الحلواني

تنسيق داخلي: هبة خليل

مراجعة لغوية: د. شادي محمد شادي

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/١٨٢٢

الترقيم الدولي: ٤-٢-٦٧٨٣-٩٧٧-٩٧٨

الناشر: السعيد للنشر والتوزيع

المدير العام: لمياء السعيد

برج الهادي – الدور الأول ٣٦ - ش عبد الحميد الديب – شبرا مصر

٠١٥٥٠٠٩٦٢١٥ – ٠٢٢٢٠١٧٢٦٠

elsaidpublisher@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الإهْدَاءُ

إلَى مَن غَابُوا عَنِّي وأَنَا فِي تِلْكَ الغُرْبَةِ الطَّوِيلَة.

إلَى مَن كَانُوا جُزْءًا مِنِّي عَلَى تِلْكَ الأَرْضِ الْجَمِيْلَة.

إلَى أَبِي إلَى أُمِّي اللّذين أوْدَعتُهم تُرابَ وطنِي الحبيبِ مِصْـر.

إلَى مَن عَلّموني وغَرَسُوا فِي دَاخِلِي مَعنَى الإيْمَانِ والصّبر.

إنّهم مَن زَرَعُوا فِي دَاخِلِي مَعْنَى التّوَسطِ والاعْتِدَال.

إنّهم مَن أوصوني أنْ أتمسك بإسلامي في أكلِ والترحال.

إنّهم أصحَابُ الكلماتِ الغاليةِ التي لم تزلْ فِي أُذُنِي.

إنّهم أصحابُ الأصالةِ الباقيةِ التي ترتقِي بخُلقي.

إلَى نصفِي الآخر الذي تعلّمتُ عَلَى يده الكثير.

إلى البحرِ الزاخرِ وذي العلمِ الغزير.

إلَى زَوْجِي الذي يقتسمُ مَعِي أكياة.

إنّه مَن أرشدَنِي إلَى طلبِ العلمِ والسيرِ فِي مسعَاه.

إلَى بناتي زهراتِ حياتِي وثمارِي اليانِعَة.

عِزي وفخرِي فِي تِلْكَ البلادِ الواسعة.

أهدِي إليكمْ جميعًا باكورةَ مؤلفاتِي الإسلامية.

وأرجُو مِن اللهِ أنْ ينفعَ بهَا أمتَنَا الغَالِية.

فيعلمُ اللهُ أنِّي مَاْ قصدْتُ بِهِ إلَّا الثواب.

وأنْ يكونَ نُورًا لذوِي الأفهامِ والألباب.

الولايات المتحدة الأمريكية - ولاية كاليفورنيا

الاثنين ٢٥ نوفمبر ٢٠١٩م

٢٧ ربيع الأول ١٤٤١ هـ

المقدمة

الحمد لله الذي قال في كتابه العزيز: "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ " [1] ،وهو القائل أيضا:

"وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا " [2] ، فمما لا شك فيه أننا في هذا العصر قد شَغلتْ أذنَنا وأفهامَنا بعضُ المستحدثات، التي وإن وُجدت من قبل على مرّ القرون الماضية، لكنها في هذا العصر قد أخذتْ منحىً جد خطير، وما ذلك إلا لاتساع ما يُعرف بعصر العولمة بما فيه من إطلاق ما يعرف بحرية التعبير، أو بمعنىً آخر حرية التفكير، فترتب على ذلك ظهورُ بعض الفرق والجماعات التي أحدثتْ جدلاً واسعاً في المجتمع الإسلامي على اختلاف طبقاته، ومع إقرارنا أنّ لهذه الجماعات والفرق أصول تطرف يضرب بجذوره إلى زمنٍ بعيدٍ، ولكننا لم نتوقع أنْ يظهر على سطح الأحداث بتلك الصورة الملفتة.

ومن المحزن أن الكثير من شبابنا المسلم الآن لا يعرف شيئا، أو لِنقُل: إنه لا يملك المعرفة اللازمة التي تمكنه من التصدي والرد علي تلك الفرق والجماعات ، والتي بلا شك قد أحدثتْ أمرًا مبتدعًا، ليس له أصلٌ أو قدمٌ ثابتة في الكتاب والسُّنة.

ولا شك أنّ بعض تلك الفرق والجماعات تمثل خطرًا على الأمة خاصة في السنوات الأخيرة، حين أصبحت أداةً بأيدي أعداء الإسلام، يقومون بتوظيفهم لأهداف سياسية واقتصادية، فكان الخاسر الوحيد هو الإسلام والمسلمين، ولعل ذلك مرجعه إلى ضعف الآلة الإعلامية المتمثلة في الوسائل المرئية أو المكتوبة، حيث تفوق الغرب بما يمتلكه من وسائل تكنولوجية حديثة وإعلام استطاع أنْ يسيطر على عقول بعض الشباب المسلم،

---

[1]- سورة آل عمران آية (١١٠) .
[2]- سورة آل عمران آية (١٠٣) .

في أن يعطي انطباعا خاطئاً عن الإسلام وأتباعه، ويظهرهم بصورة المتناحرين الذين يحاربون بعضهم بعضاً بدافعٍ عقائدي، وهذا بالطبع غير صحيح.

ولذا يجب على الشباب المسلم أنْ يمتلك البصيرة ونور العقل في استبيان تطرف وشذوذ بعض المنتسبين إلى الإسلام، حتى وإن كانوا ينطلقون من مرجعية أساسها الكتاب والسنة؛ لأنهم ببساطة يفسرونها بحسب أهوائهم وما يخدم مصالحهم الشخصية، وليس أدل على ذلك مما رأيناه في بعض البلاد الإسلامية من صراعٍ دامٍ بين تلك الفرق والجماعات، بالرغم من أنهم جميعاً يرفعون شعار الإسلام، والإسلام منهم براء.

ولذلك رأيت أن أفصل القول عن تلك الفرق والجماعات وأصولها التاريخية التي تضرب بجذور بعيدة، بُعَيْد عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، وأما عن خطتي في هذا الكتاب فهي تتكون مما يلي:

تمهيد: وقد أوجزتُ فيه معنى الفرقة والجماعة، والإرهاصات الأولى لبداية الخلاف بين المسلمين.

ثم الفصل الأول: بعنوان: الفرق الإسلامية، وقد تحدثتُ فيه بإيجاز عن نشأة تلك الفرق وعقائدها، وأبرز المنتمين لها.

ثم الفصل الثاني: بعنوان: الجماعات الإسلامية، وقد تناولتُ فيه أبرز الجماعات، وطرقها، ومبادئها.

ثم الخاتمة: التي سردتُ فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها.

ثم فهرس المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

وأشير هنا إلى ملاحظة مهمة ألفت نظر القارئ إليها، وهي أنه قد يعتقد أن ما أوردته عن الفرق والجماعات هو موجود بالفعل في شتى المصادر والمراجع، وأنه ليس هناك جديد في هذا الكتاب، وهذا أمر مردود عليه، حيث إنه من الصحيح أن هذه الفرق والجماعات قد أُلفت فيها العديد من المؤلفات، لكن الجديد هنا هو أنني قد جمعتُ جل الفرق والجماعات في مؤلف واحد، بالإضافة إلى طرح وجهة نظري الخاصة من خلال معايشتي لهم على أرض الواقع، خاصة أنهم يمارسون عقائدهم ومبادئهم بحرية مطلقة بالولايات المتحدة الأمريكية التي أعيش فيها، وليس من قرأ وسمع كمن عايش وتفاعل مع هذه الفرق والجماعات، فأرجو من الله تعالى أن يلهمني الصواب فيما أكتب، وأن يجنبني الميل والهوى إلا لما هو حق.

" رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي "

تمهيد

قبل الخوض في الحديث عن الفرق والجماعات لا بد من الإشارة هنا إلى بعض الأشياء التي أراها ضرورة حتى تُرسخ فكرة هذا الكتاب، حيث يجب التأكيد هنا على أنّ مفهوم الفرقة يكمن في أنه عبارة عن حزب قائم على بدعة، ثم على أساس هذه البدعة تنقسم الفرق:

١- فلو كانت البدعة مكفرة: تخرج هذه الفرقة عن دائرة الإسلام، كالقاديانية، والنصيرية، والدروز، والبابية، والبهائية، والفرق الباطنية، وغلاة التصوف، فهذه فرق خارجة عن الإسلام، وأحيانا تسمى فرق منتسبة إلى الإسلام.

٢- أما لو كانت البدعة غير مكفرة: كالأشاعرة، والزيدية، والخوارج، والمرجئة، والماتريدية، فنقول: هذه فرق داخلة في الإسلام، وتسمى أحيانا فرق إسلامية.

وأما عن الحزب أو الجماعة فهي قائمة على مبادئ، ويكون الحكم عليها بالنظر الى تلك المبادئ:

- أن تكون على الإسلام كله فهذا تحزب محمود واجب.
- أن تكون على جزء من الإسلام فهذا تحزب مذموم.
- أن تكون على مباح كالوطنية والقومية، فهذه إن جعلها تابعة للدين دون تحزب عليها فلا شيء فيها، وإذا تحزب عليها وجُعل الدين تابعاً لها فهذه حزبية محرمة بلا شك.
- أن تكون على بدعة، فهنا يتحول الحزب إلى فرقة من الفرق الضالة.

ومن هنا نستطيع أن ندرك أهمية دراسة الفرق والجماعات والأحزاب التي عُرفت على مدى التاريخ الإسلامي منذ بداية الدعوة حتى عصرنا الحاضر، وتتمثل هذه الأهمية فيما يلي:

- تذكير المسلمين بما كان عليه أسلافُهم من العزة والكرامة حينما كانوا يدًا واحدة.
- لفت أنظارهم إلى الحال الذي يعيشونه بسبب تفرقهم.
- توجيه الأمة الإسلامية إلى الوحدة فيما بينهم.
- تبصير المسلمين بأسباب الخلافات التي مزقتهم؛ ليجتنبوها بعزم قوي.
- معرفة ما يطرأ على العقيدة الإسلامية الصحيحة من أفكار وآراء هدّامة.
- رصد تلك الحركات والأفكار التي يقوم بها أولئك الخارجون عن الصراط المستقيم.

كل هذا حتى تبقى الفرقة الناجية علماً يُهتدى به، بعيدة عن تلك الشوائب الطارئة على العقيدة، وربط حاضر الأمة بماضيها.

وقد يسأل سائل: لماذا نشغل أنفسنَا بدراسةِ فرقٍ قد انتهت، وربما لمْ يعد لها ذكرٌ؟ والرد على ذلك: بأنه وإنْ كانت هذه الفرق لمْ يعد لها وجودٌ، إلا أنّ أفكارَها لمْ تزل مرتكزاً يرتكز عليه بعض الجماعات، سواء في آرائهم أو معتقداتهم، أو سلوكياتهم التي نراها في العصر الحاضر.

النهي عن التفرق في الكتاب والسنة:

لا شك أنّ مِن أهم المبادئ التي قامت عليها الدعوة الإسلامية هو مبدأ الاتحاد والاعتصام بحبل الله، ونستطيع أنْ نلمس ذلك مِن خلال ما ورد في كتاب الله تعالى وسنة نبينا المصطفى - صلّى الله عليه وسلم – حيثُ إنّ المتأملَ في آيات الذكر الحكيم يستطيع الوقوف على الكثير مِن الآيات التي تحرض على ذلك كقوله تعالى:

" وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " [1] ، وقوله تعالى: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا " [2] .

فكما هو واضح من هذه الآيات، أنها قد حملت دعوة صريحة إلى دعوة المسلمين جميعًا إلى الاتحاد، مشيرة إلى أنّ في ذلك قوة وعزة، كما نجد نهيًا صريحًا عن التفرق، لأنّ في ذلك ضعفًا ومهانةً قد يؤدي بصاحبه إلى خسران الدنيا والآخرة.

أما عن سنة نبينا الكريم- عليه أفضل الصلاة والسلام - فإننا نجد كثيرًا مِن الأحاديث التي حملت نفس الدعوة، من ذلك:

أ- ما رواه عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: خط لنا رسول - الله صلى الله عليه وسلم - يومًا خطًّا، ثم قال: "هذه سبيل الله"، ثم خط خطوطاً عن يمينه، وخطوطاً عن يساره، ثم قال: "هذه سُبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ هذه الآية: " وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ " [3]، [4].

ب - كذلك روى لنا معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - قال: قام فينا رسول الله - صلى الله عليه و سلم - فقال: " إن أهلَ الكِتابينِ افترقوا في دينِهم على ثِنْتَيْنِ وسبعينَ مِلَّةً، وإنَّ هذه الأمةَ سَتَفْتَرِقُ على ثلاثٍ وسبعينَ مِلَّةً، يعني الأهواءَ، كُلُّها في النارِ إلا واحدةً، وهي الجماعة " [5].

---

[1]- سورة الأنعام آية (١٥٣) .
[2]- سورة آل عمران أية (١٠٣) .
[3]- سورة الأنعام (١٥٣) .
[4]- رواه الترمذي (٢٤٥٤) ، وابن ماجه (٣٤٢٨)، تخريج مشكاة المصابيح (١٣١/١)، كما أشار إلى ذلك في المقدمة .
[5]- شرح الطحاوية رقم (٥١٣) ، صححه الألباني .

حصر الفرق في العدد المذكور في حديث الافتراق:

كان من اللازم أن تكون لنا وقفة مع الحديث الذي قاله النبي - صلى الله عليه وسلم - : ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، وقبله افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي، وفي رواية: قيل فمن الناجية؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي".

فهذا الحديث قد حمل في طياته أمرين هامين: الأول الإشارة إلى الفرقة الناجية ، والآخر في معنى قوله صلى الله عليه و سلم :" كلها في النار إلا واحدة"

أما عن الفرقة الناجية :

١- فقيل: إنها هي السواد الأعظم من أهل الإسلام.
٢- وقيل: هم العلماء المجتهدون الذين قال فيهم الرسول صلى الله عليه و سلم : "إن أمتي لا تجتمع على ضلالة "
٣- وقيل: إنها خصوص أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم الذين قال فيهم الرسول صلى الله عليه و سلم :" ما أنا عليه اليوم وأصحابي"
٤- وقيل: إن الجماعة هم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير.
٥- وقيل: إنها جماعة غير معروف عددهم ولا تحديد بلدانهم، أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بإخبار الله تعالى له أنهم على الحق، وهو الراجح.

أما الأمر الآخر المختص بقوله صلى الله عليه و سلم :" كلها في النار إلا واحدة"

فقد ذكر الشاطبي ما حاصِله:

١- أن هذه الفرق لابد أن ينفذ فيها الوعيد لا محالة.

٢- أنهم مثل أهل الكبائر تحت المشيئة [١]

٣- أن الأولى عدم التعرض لتعيين الفرق غير الناجية بالحكم عليها بالنار.

والذي يظهر لي أن الفرق تختلف في بعدها وقربها من الحق، فبعضها يصح أن يطلق على أصحابها أنهم أهل بدعة، وبعضها لا يصح [٢].

منهج العلماء في عد الفرق:

لم يكن للعلماء المختصين بالفرق والجماعات منهجٌ أو قانونٌ بنوا عليه عدهم للفرق الإسلامية، وقد أشار إلى ذلك الشهرستاني- رحمه الله حين قال - :

" اعلم أن لأصحاب المقالات طرقاً في تعديد الفرق الإسلامية، لا على قانون مستند إلى أصل و نص"، وهذا كلام صحيح يؤيده ما نجده عند تعدد العلماء للفرق كالأشاعرة حيث إنهم يعدون أمهات الفرق عشرة أصناف، وبينما عد الشهرستاني أربع فرق، وعد غيرهم ثماني فرق وهكذا، مما يؤكد عدم وجود قانون لعدّ الفرق مستقلة أو تابعة لغيرها[٣] .

---

[١]- الاعتصام ج (٢) ، ص (٢٤٧- ٢٤٨) .

[٢]- ذكره الشاطبي في الموافقات ، انظر أهم الفرق ص (١٢) .

[٣]- الملل والنحل (١ / ١٤) .

إرهاصات الفرقة بين المسلمين حتى ظهور الفرق:

لابد هنا ونحن نسطر هذا الكتاب عن الفرق والجماعات أن نشير إلى بعض الأمور التي لعبت دوراً كبيراً في ظهور الفرق والجماعات؛ حتى نقف على قدم ثابتة، يستطيع من خلالها القارئ أن يُمعن النظر في الأسباب الحقيقية التي كانت لها أثرٌ واضحٌ في رسوخ هذا الاختلاف، وهذا التفرق الذي رأيناه بعد ذلك، فقد يخطئ من يعتقد أن زمن علي ومعاوية - رضي الله عنهما - هو ذاك الزمن الذي نشأت فيه دواعي الفرقة والاختلاف بما ترتب علي ذلك من ظهور الفرق والجماعات، لكن المتأمل في التاريخ الإسلامي يجد أن التفرق والاختلاف يضرب بجذور بعيدة تصل إلى عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وهنا يجب علينا أن نطرح سؤالا: هل كان المسلمون أيّام النبي الأكرم - صلَّى الله عليه وسلَّم - محتفظين بوحدة كلمتهم، ومستسلمين لأمر نبيّهم جميعاً كما أمر اللّه به سبحانه، أم كان هناك بعض الاختلاف بينهم في جملة من المسائل؟

فأقول: إنه مما لا شك فيه أنّ المسلم الحقيقي هو من يستسلم لأوامر اللّه ورسوله، ولا يخالفه قيد شعرة آخذاً بقوله سبحانه: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَي اللّهِ وَرَسُولِهِ واتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيم" [1].

وقد فسّر المفسرون قوله سبحانه: " لا تُقَدّمُوا بَيْنَ يَدَي اللّه وَرَسُوله " بقولهم: أي لا تتقدموا على اللّه ورسوله في كلّ ما يأمر وينهى، ويؤيده قوله سبحانه وتعالى في نفس السورة: " وَاعْلَمُوا أَنَّ فيكُمْ رَسُول اللّهِ لَو يُطِيعُكُمْ في كَثير مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتّم" [2]،

---

[1]- سورة الحجرات آية (١) .
[2]- سورة الحجرات آية (٧) .

وقال عزّ من قائل : " فَلا وَرَبّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّى يُحكّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا في أَنْفُسِهِمْ حَرجاً مِمّا قَضَيْت وَيُسَلّمُوا تَسْليماً "[1].

ومع ذلك كلّه فقد نشبت بين الصحابة والنبي الأعظم عليه الصلاة والسلام، خلافات بين حين وآخر، قد ذكرها التاريخ وأصحاب السير، غير أنّ الشهرستاني يصر على أنّ أكثر الخلافات كان من جانب المنافقين، وقال: " إنّ شبهات أُمّته في آخر زمانه، ناشئة من شبهات خصماء أوّل زمانه من الكفّار والملحدين ، وأكثرها من المنافقين، وإن خفي علينا ذلك في الأُمم السالفة لتمادي الزمان، فلم يخف في هذه الأُمّة أنّ شبهاتها نشأت كلّها من شبهات منافقي زمن النبي صلى الله عليه وسلم، إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهى، وشرعوا فيما لا مُصرح للفكر فيه، وسألوا عمّا مُنعوا من الخوض فيه والسؤال عنه، وجادلوا بالباطل في ما لا يجوز الجدال فيه".

ثمّ ذكر الشهرستاني – رحمه الله - حديث ذي الخويصرة التميمي في تقسيم الغنائم إذ قال: اعدل يا محمد، فإنّك لم تعدل، حتى قال عليه الصلاة والسلام: "إن لم أعدل فمن يعدل"[2] .

إنّ ما ذكره الشهرستاني – رحمه الله - صحيح لا غُبار عليه بين أنّ الاعتراض والخلاف لم يكن منحصراً بالكفار والمنافقين بل كان هناك رجال من المهاجرين والأنصار يعترضون على النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأُمور التي لا تروق لهم، وكأنّ الشهرستاني نسى قصة الحديبية حيث آثر رسول اللّه - صلَّى الله عليه وسلَّم - الصلح يوم الحديبية على الحرب وأمر به عملاً بما أوصى اللّه إليه، وكانت المصلحة في الواقع وفي نفس الأمر توجبه لكنّها خفيت على أصحابه، فطفق بعضهم ينكره، والآخر يعارضه علانية بكلّ ما لديه من قوة.

---

[1]- سورة النساء آية (٦٥) .
[2]- الملل والنحل (١ /٢١) .

فهذا الفاروق عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - بعدما تقرر الصلح بين الفريقين على الشروط الخاصة، وقد أدركته الحمية معارضاً لهذه الاتفاقية، وقال لرسول الله: ألست برسول الله؟ قال: «بلى» قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: «بلى» قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: «بلى» قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال : «إني رسول الله ولست أعصيه " [1].

وكأنّ الشهرستاني غفل أيضاً عن الجدال الشديد بين النبي– صلى الله عليه وسلم - وبعض أصحابه في متعة الحج، قال الإمام القرطبي: لا خلاف بين العلماء أنّ التمتع المراد بقوله تعالى: "فَإِذا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَة إِلَى الحَجّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الهَدي" [2]، هو الاعتمار في أشهر الحجّ قبل الحجّ، قلت: وهو فرض من نأى عن مكة بثمانية وأربعين ميلاً من كلّ جانب على الأصح، وإنّما أضيف الحجّ بهذه الكيفية إلى التمتع أو قيل عنه: التمتع بالحج، لما فيه من المتعة، أي اللذة بإباحة محظورات الإحرام في المدة المتخلّلة بين الإحرامين، وهذا ما كرهه عمر وبعض أتباعه، فقال قائلهم: أننطلق وذكورنا تقطر؟! [3].

---

[1]- السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣١٧) .
[2]- سورة البقرة آية (١٩٦).
[3]- سنن أبي داوود ج (٢١٣/٢) ، صحيح مسلم ج (٤ /٤٦) .

وفي (مجمع البيان) أنّ رجلاً قال: أنخرج حجاجاً ورؤوسنا تقطر؟ وأنّ النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم - قال له : " إنّك لن تؤمن بها أبداً " [١].

ولأجل هذه المكافحة التي نجمت في حياة النبي خطب عمر بن الخطاب في خلافته، وقال: متعتان كانتا على عهد رسول اللّه - صلَّى الله عليه وسلَّم - وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما. [٢]

وهذه الأُمور تسهل لنا التصديق بما رواه البخاري في إسناده عن عبيد اللّه بن عبد اللّه عن ابن عباس، قال:" لما اشتد بالنبي - صلَّى الله عليه وسلَّم – وجعه، قال: إيتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، قال عمر: إنّ النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - غلبه الوجع، وعندنا كتاب اللّه حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قال:

" قوموا عنّي، ولا ينبغي عندي التنازع "، فخرج ابن عباس يقول: إنّ الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول اللّه - صلَّى الله عليه وسلَّم - وبين كتابه" [٣].

كما تسهل لنا التصديق بخلافهم في حال حياته، عندما أمرهم بقوله: " جهزوا جيش أُسامة لعن اللّه من تخلّف عنه "، فقال قوم: يجب علينا امتثالاً لأمره، وأُسامة قد برز من المدينة، وقال قوم: قد اشتد مرض النبي – صلى الله عليه وسلم - فلا تسع قلوبنا مفارقته والحالة هذه، فنصبر حتى نبصر أي شيء يكون من أمره [٤] .

---

[١]- النص والاجتهاد (١٢٠) وقد نقل مصادر كلامه .
[٢]- مفاتيح الغيب للرازي : ٢٠١/٣ في تفسير آية ٢٤من سورة النساء، شرح التجريد للفاضل القوشجي : ٤٨٤.
[٣]- صحيح البخاري رقم (٣٠/١) .
[٤]- الملل والنحل (١ / ٢٣ – ٢٤) .

فقد كانت هناك خلافات في أُمور لا تروق لنفوس بعض الصحابة وميولهم، غير أنّ هذه الخلافات لم تصل إلى الحدّ الذي تنشق به عصا الوحدة، وتنفصم بها عرى الأخوة.

وأعظم خلاف بين الأُمّة هو الخلاف الذي نشب بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وهو الخلاف في الإمامة، وقد لمست الأُمة ضرره وخسارته، ويعود أساس هذا الخلاف إلى انقسام الأمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى فرقتين:

الأُولى : القائلون بأنّ منصب الإمامة منصب إلهي، وأنّ الإمام يقوم بالمهام التي كانت قد أُلقيت على عاتق النبي صلى الله عليه وسلم من تبيين الأحكام الشرعية، وتفسير كتاب اللّه، وصيانة الدين عن النقص والزيادة، والإجابة على الأسئلة الواردة والاعتراضات المتوجهة إلى الدين، يضاف إلى ذلك إدارة المجتمع البشري وسياسته التي يعبر عنها بالحكومة الإسلامية.

الثانية : القائلون بأنّ منصب الإمامة منصب عادي يجب أن يقوم به واحد من آحاد الأُمّة، لتبرير أمر المجتمع سياسياً واجتماعاً واقتصاداً وغير ذلك، وأنّه لم يرد في أمر الخلافة نص على شخص ما، وهؤلاء هم أهل السنّة.

ولست هنا في معرض السرد لجلّ الاختلافات التي حدثت بعد وفاة النبي - صلي الله عليه وسلم - لكن ما يهمني هنا أن أقف على الأسباب التي أدت في النهاية إلى نشوء ما يعرف بالفرق والجماعات الإسلامية.

والحقيقة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أنه ترك لأمته ديناً مبنياً على بساطة العقيدة ووضوح الشريعة، ومن هنا عندما انطلق الفاتحون الأوّلون إلى تلك البلاد التي كانت تعرف الإسلام لأول مرة، نراهم قد حملوا الإقناع بالمنطق أولًا، وحد السيف ثانيًا،

فخضت شعوب تلك البلاد في معظمها دونما قتال أو عنف، وهذا يعود إلى كتاب الله – عز وجل - الذي هو هدىً وتبياناً لجميع الخلق.

فالمسلمون الأوّلون في ضوء بساطة العقيدة، وسهولة التشريع، وفي ظل هذه الحجج، والأدلة القويمة كانوا في غنىً عن الخوض في أقوال المدارس العقلية، والمناهج الكلامية التي كانت دارجة بين الأُمم المتحضّرة آنذاك، فهم بدلاً من الغور فيها كانوا يخوضون غمار المنايا ويرتادون ميادين الحروب في أقطار العالم وأرجاء الدنيا؛ لنشر الدين والتوحيد، ومكافحة شتى ألوان الشرك والوثنية، ومحو العدوان والظلم عن المجتمع البشري.

نعم كان هذا وصفهم وحالهم إلاّ القليل منهم ممن عرف بالانتهازية وعشق المال، وقد قلنا: إنّ بساطة التكليف كانت إحدى العوامل التي صرفت المسلمين عن التوجه والتعرض للمناهج الفلسفية الدارجة في الحضارات القائمة آنذاك ، فلأجل ذلك كانوا يكتفون مثلاً في معرفة اللّه سبحانه بقوله تعالى: " أَفِي اللّه شَكٌّ فاطرِ السَّمواتِ والأَرضِ"[1]، وقوله عزّ وجلّ : " أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْء أَمْ هُمُ الْخالِقُون " [2] .

وفي نفي الشرك والوثنية كانوا يكتفون بقوله سبحانه وتعالى : " لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاّ اللّهُ لَفَسَدتا " [3].

وفي التعرّف على صفاته وأفعاله بقوله سبحانه: " هُوَ اللّهُ الَّذي لا إِلهَ إِلاّ هُوَ عالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحيم " [4]، إلى آخر سورة الحشر.

---

[1]- سورة إبراهيم آية (١٠) .
[2]- سورة الطور آية (٣٥) .
[3]- سورة الأنبياء آية (٢٢) .
[4]- سورة الحشر آية (٢٢) .

وفي تنزيهه عن التشبيه والتجسيم بقوله سبحانه: " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّميعُ الْبَصير " ([1]) ، وبقوله عز وجل : " لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصار " [2]، وفي سعة قدرته : " وَما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ " [3].

إلى غير ذلك من الآيات، فلكلّ أمر من أمور العقيدة نصوص في الكتاب والسنّة، أغنتهم عن اللجوء إلى غيرهما.

نعم إنّ مفاهيم هذه الآيات على بساطتها تهدف إلى معان بعيدة الأغوار، عالية المضامين، فالكلّ يستفيد منها حسب مقدرته واستعداده، فهي هادية لكلّ البشر، ومفيدة لجميع الطبقات من ساذجها إلى مُتعلّمها إلى مُعلمها.

وهذه الميزة يختصّ بها القرآن الكريم، ويتميّز فيها عن غيره، فهو مع كونه هدىً للناس عامة، خير دليل للمفكّرين صغارهم وكبارهم ، هذا هو الكتاب.

وأمّا السنّة فهي عبارة عمّا ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، نازلة منزلة التفسير والتبيين لمعاني الكتاب الحكيم، مبينة لمجمله، شارحة لمعانيه كما يعرب عنه قوله سبحانه:

" وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ " [4]، أي لا لتقرأ فقط، بل لتبيّن وتشرح ما نزل بقولك وفعلك وتقريرك.

---

[1]- سورة الشورى آية (١١) .
[2]- سورة الأنعام آية (١٠٣) .
[3]- سورة الأنعام آية (٩١) .
[4]- سورة النحل آية (٤٤) .

وكان الواجب على المسلمين مع الحجج الإلهية التمسّك بالعروة الوثقى ورفض الاختلاف، ولكن للأسف تفرقوا إلى فرق وجماعات لأسباب أشير إليها فيما يلي:

١- الاتجاهات الحزبية والتعصبات القبلية.
٢- سوء الفهم واعوجاجه في تحديد الحقائق الدينية.
٣- المنع عن كتابة حديث رسول اللّه - صلَّى الله عليه سلم – ونقله والتحدّث به كما سيجيء.
٤- فسح المجال للأحبار والرهبان للتحدّث عن قصص الأوّلين والآخرين.
٥- الاحتكاك الثقافي واللقاء الحضاري بين المسلمين وغيرهم من الفُرس والروم والهنود.
٦- الاجتهاد في مقابل النصّ.
٧- اتخاذ الدين وسيلة من أجل الوصول إلى منصب سياسيّ أو اقتصاديّ.
٨- البطالة التي دفعت كثيراً من الشباب أن ينساقوا خلف الدعوات الفاسدة من أجل المال، فتم توظيفهم بشكل سيء في شكل جماعات، اتخذت من الدين شعاراً.

تلك هي الأسباب باختصارٍ شديدٍ، وقد أوجزتها حتى لا أنحرف عن موضوع هذا الكتاب، وهو الحديث عن الفرق والجماعات الإسلامية والتي سأفصل فيها القول في الفصول التالية.

الفصل الأول

الفرق الإسلامية

إن هذا الفصل يختص بالحديث فقط عن الفرق الإسلامية، وسوف أتناولها أولاً لأنها هي الأسبق تاريخياً، أما الجماعات فقد ظهرت في وقت لاحق، ولا شك أن الخلافة الإسلامية كانت الأساس والمحور الرئيسي الذي دارت حوله جل الصراعات والخلافات، التي أفضت في النهاية إلى ظهور ما يعرف بالفرق، وبنظرة تاريخية متفحصة نستطيع أن نجزم أن الخوارج هم أصحاب الشرارة الأولى في شيوع الفرق في شتى البقاع الإسلامية، وقد حدث ذلك في عهد خلافة الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لكن المتأمل بدقة في وقائع التاريخ يجد لهم أصولاً منذ عهد النبوة حين طعن عبدالله ذو الخويصرة التميمي بقسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: هذه قِسمة ما أُريد بها وجه الله، وقال أيضاً، اعدل يا رسول الله، فقال الصادق الأمين : " ويلك، إن لم أعدل فمن يعدل"[1].

ثمّ قال فيه : "يخرج من ضئضئ هذا قوم يحقرون صلاتكم إلى صلاتهم وصيامكم إلى صيامهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية" أنظر كامل القصّة في البخاري ومسلم [2].

وأمّا من حيث كونها فرقة لها تجمّع وعقائد وشوكة، فقد ظهر هذا بعد التحكيم الذي حدث بطلب منهم " وكانوا في جيش عليّ - رضي الله عنه - وطالبوه بالتحكيم" بين عليّ ومعاوية رضوان الله عليهم جميعاً، ثمّ قاتلهم عليّ - رضي الله عنه - حتى كان قتله رضي الله عنه على أيديهم الخبيثة.

---

[1]- رواه البخاري (٣٦١٠) ، ومسلم (١٠٦٤) .

[2]- أخرجه البخاري (٧٤٣٢) ، ومسلم (١٠٦٤) واللفظ له .

الخوارج وأسباب خروجهم:

لعل من الطبيعي أن تكون هناك أسباب قوية، كانت هي العامل الرئيسي في خروج هذه الجماعة عن جماعة المسلمين، ونستطيع أن نجمل هذه الأسباب على النحو التالي :

١- إنهم تعاملوا بشدة متناهية مع أمر الخلافة؛ حيث إنهم قد وضعوا شروطاً قاسية تتنافى مع الواقع الذي كان متعارف عليه.

٢- بالرغم من أنّ الخوارج هم من أوائل من طالبوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالعمل بمبدأ التحكيم، لكنهم في النهاية قد رفضوا هذه المسألة رفضاً قاطعاً .

٣- بروز العصبيّة القبليّة؛ حيث إنّ معظم الخوارج من ربيعة، الذين كانوا أصحاب العداء التقليدي لمُضر، والتي منها قريش التي جعل التشريع لها وحدها حقّ استلام منصب الأمير العام أو الخليفة، فساعدت شريعة الإسلام والتلاحم الأخويّ بينهم برجوعهم إلى الوراء، وإشعال أحقاد الجاهليّة مرّة ثانية.

تلك هي أبرز الأسباب التي ترتب عليها ظهور ما يعرف بالخوارج، كان ذلك بعد أن رأى معاوية - رضي الله عنه – أنّ الغلبة ستكون لعلي - رضي الله عنه - فأمر جنوده برفع المصاحف، وطلبوا تحكيم كتاب الله، ورضي علي بالتحكيم، ولم يرض به فريق من المحاربين معه، وقالوا: لا نحكم أحداً في دين الله (لا حكم إلا لله)،فانشقوا على الإمام علي - رضي الله عنه - وسرعان ما نهض إلى محاربتهم وإلحاق الهزيمة بهم .

مبادئهم:

١- - يجب أن تكون الخلافة باختيار حر من المسلمين، وإذا اختير إمام لها فلا يصح أن يتنازل عنها أو يُحكم فيها، وليس بالضروري أن يكون الإمام من قريش، ويجب أن يخضع لما أمر الله، وإلا وجب عزله.

٢- إن الإيمان ليس اعتقاداً، وإنما هو اعتقاد وعمل، ومرتكب الكبيرة كافر.

تلك هي المبادئ التي على أثرها تكونت عقيدتهم الفاسدة، ومِن أشهر مَن عُرف من رجالهم عبد الله الراسبي، ونافع بن الأزرق، ونجد بن عامر.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه بشدة: هل للخوارج كبقية معظم الفرق الإسلامية وجود ملموس في عصرنا الحاضر؟ وللإجابة علي هذا السؤال أقول: إن الخوارج قد تشعبوا إلى فرق كثيرة، حتى إننا نجد العلماءَ لم يستطيعوا تحديد عددها؛ وذلك لاندثار معظمها، ومع اندثارها اندثرت معالمها.

ومن أشهر الفرق التي حفظ لنا التاريخ بعض أسمائها فرق المحكِّمة، والحروريّة، والأزارقة، والنجدات، وهذه كلها اندثرت، ولم يبقَ إلى يومنا هذا إلا فرقة واحدة منها هي فرقة الإباضية.

ولذا فالحديث عنها يمكننا من الإفادة بهذه الدراسة كتاريخ مضى وحاضر شاهد، ولهذا سنسلط الأضواء على دراسة هذه الفرقة، ولهذا سنسلط البحث على هذه الفرقة الضالة.

❄❄❄❄❄❄❄❄❄

الإباضية:

هي من الفرق التي تشعبت عن الخوارج، وترجع نسبتها كما تشير مصادرهم نسبة إلى أن جابر بن زيد الأزدي هو الزعيم لهم لا يقدّمون عليه أحداً، ولكنّ النسبة جاءت من عبدالله بن أباض المري، والذي ينسب إلى بني تميم، وهو تابعي عاصر معاوية وابن الزبير - رضوان الله عليهما - وله مواقف ومواجهات - حسبما زعموا - مع الحكّام.

ونجد لهذه الفرقة وجودًا ملموساً في عصرنا الحاضر حيث إنهم ينتشرون في بعض البلاد العربية والإسلامية كالجزائر، وتونس، وليبيا، وتنزانيا، بل إنهم يتجاوزن نسبة سبعين في المائة من سكان سلطنة عُمان، بل إنه يعد المذهب الرسمي فيها.

عقيدتها:

لكن ما يهمنا هنا هو معرفة العقيدة التي قام عليها أساس تلك الفرقة، واتخذوه سبيلا لنشر دعوتهم.

- إن الخوارج في مجملهم قد اجتمعوا على القول بخلق القرآن، وهم بذلك ينتزعون القداسة عن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، شأنه في ذلك شأن معظم الفرق الضالة.

- التبرؤ من عليّ - رضي الله عنه - والحكم بكفره، وكذلك عثمان ومعاوية ويتبرؤون من كثيرٍ من الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - ولعن الله من انتقصهم، ولهذا سمّاهم أهل السنّة بالنواصب، لأنّهم ناصبوا العداء لعليّ رضي الله عنه وغيره من الصحابة.

- يقومون بتحريف أسماء الله وصفاته، فهم بهذا جهميّون يقولون بمقالة التحريف لصفات الله سبحانه، والله يقول: " ولله الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" [١].

- لا يقولون بصفة الاستواء على العرش، بل يحرفونها إلى صفة الاستيلاء، وهذا لجهلهم بالله تعالى، وإلا فمعنى الاستيلاء أنّ هناك من خاصم الله وأخذ عرشه ثمّ حاربه الله واستولى على العرش مرة أخرى ورده إلى ملكه، قال عز وجل: " سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا "[٢] ، وقوله تعالى : " قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا"[٣].

- نفي رؤية الله - سبحانه وتعالى - في الآخرة، وأين النعيم من رؤية الله في الجنّة وهو أعظم النعيم عند المؤمنين يوم القيامة، والله يقول عزوجل" وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ " [٤].

- الكثير منهم لا يؤمن بعذاب القبر، وهو من عقائد أهل السنّة الثابتة بالقرآن والسنّة المتواترة، قال تعالى:

" النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَاب " [٥]، وجهنّم ليس فيها نهار ولا ليل، فأثبتت هذه الآية أنّ العذاب قبل يوم القيامة، وهذا لا يكون إلا في القبر وعالم البرزخ.

١- سورة الأعراف آية (١٨٠) .
٢- سورة الإسراء آية (٤٣) .
٣- سورة الإسراء آية (٤٢) .
٤- سورة القيامة الآيات (٢٢- ٢٣) .
٥- سورة غافر آية (٤٦) .

- لا يثبتون الشفاعة إلا للمتقين، أمّا العصاة فلا شفاعة لهم، وبهذا ينفون الشفاعة عن أنفسهم ويشهدون على أنفسهم بالحرمان من شفاعة الشافعين.

- يقولون بفسق أصحاب المعاصي والكبائر في الدنيا، وبخلودهم في النار بالآخرة كالكفّار، وهم بذلك يتشابهون مع المعتزلة.

إلى غير ذلك من عقائدهم الفاسدة كإنكار الميزان، والصراط، والقول بالتقية، خلافاً لجميع فرق الخوارج.

ولا يعتمدون من السنّة إلاّ ما جاء عن طريق زعمائهم فحسب، وبالتالي لم يقبلوا الكثير من الأحاديث بل ردّوها.

وأشير هنا إلى ملاحظه مهمة تتمثل بأن السر في بقاء تلك الفرقة الفاسدة حتى عصرنا الحاضر هو أنهم يخفون عقائدهم إذا ظهر عليهم الأعداء، ولذا عندما كنت أتقابل مع أحد الأشقاء العمانيين المنتسبين لهذه الفرقة يُنكر كل ما سبق ويرى أنه ادعاء وكذب وافتراء، لكن بالطبع عقائدهم لا تُخفى على أحد.

نظرة الخوارج إلى المسلمين:

مما سبق يتضح أنّ الخوارج يختلفون اختلافا جوهرياً عن غيرهم من المسلمين أصحاب النهج الصحيح الذي توارثوه عن السلف الصالح، وبالتالي كانت نظرة الخوارج إلى غيرهم من المسلمين نظرة بُغض، حيث إنهم يرونهم على غيرالهدى والدين، بل إن المغالين منهميرون، كفر مَن خالفهم بل إنهم يكفّرون الأطفال أيضا، مستحلين الدماء والأموال، قائلين: بكفر الرعية إذا كفر الحاكم.

وهذا على العكس من الإباضية الذين نراهم أقلَّ تطرفاً؛ فإنّهم يستحلّون دماء المخالفين إذا كان لهم إمام، وكذلك لا يحكمون بكفر الأطفال من المسلمين ويتولّونهم، ويتوقّفون في أطفال المشركين.[1]

❄❄❄❄❄❄❄❄❄

[1]- الملل والنحل (١٣٥/١)

الشيعة:

كان بديهياً بعد أن وجدنا الخوارج وقد قاموا بالخروج عن الإمام علي – كّرم الله وجهه - وكما يقول المثل السائر: لكل فعل رد فعل، ومن هنا وجدنا فرقة مقابلة جعلت من نفسها منبراً للدفاع ولنصرة الإمام علي- كرم الله وجهه- وهم ما يعرفون بالشيعة، وكما هو واضح من التسمية فإنّ لها معنىً واضحًا ومحددًا.

مبادئ الشيعة:

١- إن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز للنبي إغفالها، بل يجب عليه تعيين إمام لهم، يكون معصوماً من الكبائر والصغائر.

٢- إنهم يقولون بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد قام بتعيين علياً للخلافة مستشهدين في ذلك بنصوص ينقلونها ويقومون بتأويلها، مبتعدين في ذلك عن أهل الشريعة والحديث الصحيح، ومن هنا نشأت فكرة الوصيّة ولُقب عليّ بالوصيّ، فهو إمام بالنص لا بالانتخاب، وقد أوصى علي لمن بعده، وهكذا على كل إمام أن يوصي لمن بعده.

٣- القول بأن عليّ - رضي الله عنه - هو أفضل الخلق في الدنيا والآخرة بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم - فمن عاداه أو حاربه فهو عدوّ الله إلا إن ثبتت توبته، ومات على حبه.

ولم يكن الشيعة على درجة واحدة، بل منهم المغالي والمقتصد، وقد اقتصر المعتدلون على تفضيله على بقية الصحابة من غير تكفير أو تفسيق لأحد، واعترفوا بصحة إمامة المفضول مع وجود الفاضل، وقالوا ليس بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وبين علي - رضي الله عنه - إلا مرتبة النبوة، وأعطيا علياً ما عداها من

الفضل المشترك، أما المغالون المتطرفون فلم يكتفوا بتفضيله على الخلفاء وعصمته، بل رفعوه إلى مرتبة النبوة، ومنهم من ألهه، أي زعم حلول الإله فيه، ومنهم من قال: كل روح إمام حلت في الألوهية تنتقل إلى الإمام الذي يليه.

٤- قولهم بالبداء على الله تعالى، وقد تنزه الله عن ذلك.

وقد كان التشيعُ أرضًا خصبةً لظهور القول بالرجعة، والحلول والتناسخ، والتجسيم والتشبيه، وعدم ختم النبوة، مما فتح الباب لانبثاق فرق أخرى عنها، والحق الذي لا مراء فيه أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من يريد هدم الإسلام لعداوة أو حقد، ومَن يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية ومجوسية وغيرها في الإسلام، ومَن يريد استقلال بلاده والخروج على الدولة الإسلامية، كل هؤلاء كانوا يتخذون حبَّ آل البيت سِتاراً يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم.

تلك هي أبرز المبادئ التي ارتكز عليها الفكر الشيعي، لكن الأمر الذي يثير الانتباه والعجب، أن هذا الفكر قد أخذ في التشعب والتنوع حتى رأينا كثيرًا من الفرق والجماعات التي أخذت تنتشر في بقاع الأرض، تحمل بين طياتها مُسمياتٍ مختلفة ومبادئَ وأفكارًا تقترب وتبتعد عن الأفكار التي عرفناها سابقاً عن الفكر الشيعي في بدايته، ويبدو أن السياسة والفكر الغربي قد لعب دوراً بارزاً في تفرع الفكر الشيعي كما نراه في الفرق التالية على النحو التالي:

الإمامية (الاثنا عشرية) :

نصل الآن إلى أول الفرق التي تشعبت عن الفكر الشيعي، وهي فرقة الاثنا عشرية أو الإمامية، وقد لُقبوا بهذا الاسم (الإمامية) لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي تشغلهم، وسُمُّوا (الاثني عشرية) لأنهم قالوا باثني عشر إمامًا دخل آخرهم السرداب بسامراء على حد زعمهم.

كما أنهم القسم المقابل لأهل السنة والجماعة في فكرهم وآرائهم المتميزة، وهم يعملون لنشر فكرهم ليعم العالم الإسلامي.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

الاثنا عشر إمامًا الذين يتخذهم الإمامية أئمة لهم يتسلسلون على النحو التالي:

١- علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - الذي يلقبونه بالمرتضى رابع الخلفاء الراشدين، وصهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد مات غيلةً حينما أقدم الخارجي عبد الرحمن بن ملجم على قتله في مسجد الكوفة في ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ.

٢- الحسن بن علي - رضي الله عنهما - ويلقبونه بالمجتبى (٣ ٥٠هـ)..

٣- الحسين بن علي - رضي الله عنهما – ويلقبونه بالشهيد (٤ ٦١هـ).

٤- علي زين العابدين بن الحسين (٣٨ ٩٥ هـ) ويلقبونه بالسَّجَّاد.

٥- محمد الباقر بن علي زين العابدين (٥٧ ١١٤هـ) ويلقبونه بالباقر.

٦- جعفر الصادق بن محمد الباقر (٨٣ ١٤٨هـ) ويلقبونه بالصادق.

٧- موسى الكاظم بن جعفر الصادق (١٢٨ ١٨٣هـ) ويلقبونه بالكاظم.

٨- علي الرضا بن موسى الكاظم (١٤٨ ٢٠٣هـ) ويلقبونه بالرضي.

٩- محمد الجواد بن علي الرضا (١٩٥ ٢٢٠هـ) ويلقبونه بالتقي.

١٠- علي الهادي بن محمد الجواد (٢١٢ ٢٥٤هـ) ويلقبونه بالنقي.

١١- الحسن العسكري بن علي عبد الهادي (٢٣٢ ٢٦٠هـ) ويلقبونه بالزكي.

١٢- محمد المهدي بن الحسن العسكري (٢٥٦هـ ...) ويلقبونه بالحجة القائم المنتظر.

يزعمون بأن الإمام الثاني عشر قد دخل سردابًا في دار أبيه بسامراء ولم يعد، وقد اختلفوا في سِنّه وقت اختفائه فقيل أربع سنوات، وقيل ثماني سنوات، غير أن معظم الباحثين يذهبون إلى أنه غير موجود أصلاً وأنه من اختراعات الشيعة ويطلقون عليه لقب (المعدوم أو الموهوم)

- من شخصياتهم البارزة تاريخيًّا عبد الله بن سبأ، وهو يهودي من اليمن.
- منصور أحمد بن أبي طالب الطبرسي.
- الكُلَيني صاحب كتاب الكافي.
- الحاج ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي.
- آية الله المامقاني صاحب كتاب تنقيح المقال في أحوال الرجال.
- أبو جعفر الطوسي صاحب كتاب تهذيب الأحكام.
- آية الله الخميني، وحسن نصر الله أمين عام حزب الله من رجالات الشيعة المعاصرين.

معتقداتهم:

لقد قام فكر الإمامية على أفكار ومعتقدات محددة تكمن في المبادئ التالية:

١- أن الإمامة تكون بالنص، إذ يجب أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق بالعين لا بالوصف، وأن الإمامة من الأمور المهمة التي لا يجوز أن يفارق النبي - صلى الله عليه وسلم – الأمة ويتركها وقفاً يرى كل واحد منهم رأيًا، بل يجب أن يعين شخصًا هو المرجوع إليه والمعوَّل عليه.

ومن ذلك فإنهم يستدلون على إمامة علي - كرم الله وجهه - لقولهم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد نص عليه نصًّا ظاهرًا بحادثة مزعومة تسمى (غدير خم)، لا نجد لها إسناداً صحيحاً عند أهل السنة والحديث، جاعلين من تلك الحادثة التي يقولون بأنها قد حدثت في يوم الثامن عشر من ذي الحجة عيداً يسمى بعيد غدير خم وهو أهم عندهم من عيد الفطر وعيد الأضحى.

٢- وفقاً لما رأيناه في المبدأ الأول فإنهم يقولون بأن الإمام علي - كرم الله وجهه قد نص على ولديه الحسن والحسين - رضي الله عنهما – وهكذا فكل إمام يعين الإمام الذي يليه بوصية منه، ويسمونهم الأوصياء.

٣- يرون أن كل الأئمة معصومون عن الخطأ والنسيان، وعن اقتراف الكبائر والصغائر.

٤- العلم اللدنّي: حيث إنهم يرون أن هؤلاء الأئمة قد أودع الله فيهم هذا العلم من لدن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بما يكمل الشريعة، وبالتالي فليس بينهم وبين الرسول - صلى الله عليه وسلم - فرقاً سوى أن النبي يوحى إليه وأنه قد ائتمنهم على أسرار الشريعة؛ ليبينوا للناس ما يقتضيه زمانهم.

٥- القول بأنه من الجائز أن تكون لهؤلاء الأئمة بعض الأمور الخارقة للعادات وهم يطلقون عليها معجزات تجري على أيدي هؤلاء الأئمة، حتى إنه لم ينص عليه نصاً واضحًا.

٦- معتقد الغَيبة: حيث إنهم يرون أن الزمان لا يخلو من حجة لله عقلاً وشرعًا، ويترتب على ذلك أن الإمام الثاني عشر قد غاب في سردابه، كما زعموا، وأن له غيبة صغرى وغيبة كبرى، وهذه بالطبع خرافة يمكن أن نعدها من قبيل الأساطير.

٧- أن الحسن العسكري سيعود في آخر الزمان عندما يأذن الله له بالخروج وهو ما يعرف بالرجعة، وكان بعضهم يقف بعد صلاة المغرب بباب السرداب وقد قدموا مركبًا، فيهتفون باسمه، ويدعونه للخروج، حتى تشتبك النجوم، ثم ينصرفون ويرجئون الأمر إلى الليلة التالية، ويقولون بأنه حين عودته سيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا، وسيقتص من خصوم الشيعة على مدار التاريخ، ولقد قالت الإمامية قاطبة بالرجعة، وقالت بعض فرقهم الأخرى برجعة بعض الأموات.

٨- التقية: وأراه من أخطر المبادئ التي يصلون من خلالها إلى نشر أفكارهم الهدّامة، وهي عندهم أصلٌ من أصول الدين، ومن تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة، وهي واجبة لا يجوز رفعها حتى يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله - تعالى - وعن دين الإمامية، كما يستدلون على ذلك بقوله تعالى: "إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً " (١)، وينسبون إلى أبي جعفر الإمام الخامس قوله: "التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له"، وهم يتوسعون في مفهوم التقية إلى حد كبير.

٩- المتعة: حيث إنهم يرون بأن متعة النساء خير العادات، وأفضل القربات، مستدلين على ذلك بقوله تعالى: "فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ". (٢) ، وقد حرم الإسلام الحنيف هذا الزواج الذي تشترط فيه مدة محدودة، فيما يشترط معظم أهل السنة وجوب استحضار نية التأبيد، ولزواج المتعة آثار سلبية كثيرة على المجتمع تبرر تحريمه.

١٠- تحريف القرآن؛ حيث يوجد عندهم مصحفاً يسمى بمصحف فاطمة، وهو الأساس والصحيح عندهم مرتكزين على قول جعفر الصادق: " وإن عندنا

١- سورة آل عمران آية (٢٨) .
٢- سورة النساء آية (٢٤) .

لمصحف فاطمة عليها السلام، قال: قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه حرف واحد من قرآنكم" ([1]).

١١- البراءة : وهو مبدأ كثيرًا ما يصرحون به؛ حيث يتبرؤون من الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم -ناعتين إياهم بأقبح الصفات، وأذم الأقوال، مدعين أنهم قد قاموا باغتصاب الخلافة من الإمام علي - رضي الله عنه - الذي هو أحق منهم بها، ولذا يسمون بالرافضة لرفضهم خلافتهم، ليس هذا فحسب بل إنهم يبدؤون بلعن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - بدل التسمية في كل أمرٍ ذي بال، وهم ينالون كذلك من كثير من الصحابة باللعن، ولا يتورعون عن النيل من أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها وأرضاها .

١٢- أن البعض من هؤلاء الإمامية قد وصل بهم الحال إلى المغالاة في شخصية الإمام علي - رضي الله عنه - إلى الدرجة التي رفعوه فيها إلى مرتبة الألوهية كالسبئية، وبعضهم قالوا: بأن جبريل قد أخطأ في الرسالة فنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - بدلاً من أن ينزل على علي لأن عليًّا يُشبه النبي - صلى الله عليه وسلم - كما يشبه الغرابُ الغرابَ ولذلك سُموا بالغرابية.

١٣- ومن الأمور التي تحظى عندهم باهتمام شديد ذاك اليوم الذي يسمى بعيد النيروز، وهو بالطبع من أعياد الفرس، لكن بعضهم يقول: إن غسل يوم النيروز سُنة، كما أن لهم يوماً يقيمون فيه عيداً وهو يوم اليوم التاسع من ربيع الأول، حيث هو اليوم الذي قَتَلَ فيه أبو لؤلؤة المجوسي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه وأرضاه - ملقبين إياه بعيد بابا شجاع الدين، حيث صنعوا له مقاماً في إيران، يذهبون إليه ويحتفلون به كل عام.

---

[1]- ينكر بعض الشيعة المعاصرون مصحف فاطمة والبراءة من الخلفاء وبعض الأمور الأخرى التي وردت في هذا التعريف ، لكن هذه موجودة في كتبهم، ولم يتبرأ منها علماؤهم على رؤوس الأشهاد وبين الشيعة أنفسهم ، مما يوحي أن هذا الإنكار هو من باب التُقية ، التي يطبقونها مع الفرق الإسلامية الأخرى، مثل التظاهر بأداء بعض العبادات علانية ومخالفتها سراً .

١٤- حفلات العزاء والنياحة والجزع وتصوير الصور وضرب الصدور، وكثير من الأفعال المحرمة التي تصدر عنهم في العشر الأول من محرم، معتقدين بأن ذلك قربة إلى الله– تعالى - وأن ذلك يكفر سيئاتِهم وذنوبَهم، ومن يزورهم في المشاهد المقدسة في كربلاء والنجف فسيرَى من ذلك العجب العجاب.

تلك هي أبرز الأفكار والمعتقدات التي بُني عليها الفكر الإمامي أو الاثني عشرية ولا شك أن هذا الفكر له أصول وجذور ومعتقدات من أبرزها :

١- تلك المعتقدات الفارسية حيث إن الشيعة يدينون للفرس بالملك والوراثة، وبالتالي فليس غريبًا أن نجد الفرس يساهمون في انتشار هذا الفكر انتقاماً من الإسلام، الذي كسر شوكتهم، باسم الإسلام ذاته.
٢- كما إنه لا يمكن أن ننكر أن للمعتقدات الوافدة من الديانات المنتشرة في القارة الأسيوية كالبوذية والمانوية والبرهمية أثراً واضحاً في الفكر الإمامي؛ حيث وجدنا بينهم تمازجاً أدّى في النهاية إلى القول بالتناسخ وبالحلول.
٣- كما كان لليهودية التي تحمل بصمات وثنية وآشورية وبابلية أثرٌ في مدّ التشيع بالكثير من الأفكار والمعتقدات.
٤- وإذا أمعنا النظر وجدنا تشابهاً كبيراً بين أقوالهم في الإمام علي بن أبي طالب وأئمة آل البيت، وبين النصارى من حيث أقوالهم في المسيح عليه السلام، فقد شابهوهم في كثرة الأعياد وكثرة الصور، واختلاق خوارق العادات وإسنادها إلى الأئمة. ومما سبق يتضح مدى تطرف تلك الفئة الضالة عن مبادئ الإسلام الصحيح الذي تربينا عليه من خلال القرآن الكريم والسنة المشرفة، ولا شك أن فكرهم يبعد كل البعد عن الإسلام فليس منه في شيء، بل إنني أجزم إنه من الخطأ أن نخلع عليهم عباءة الإسلام؛ لأنه منهم براء، ولا يخفى على أحدٍ مدى المعاناة التي يعانيها العرب من أهل السنة من هذه الفرقة بسبب ما تصنعه إيران وأتباعها في

العراق وسوريا ولبنان والبحرين من قلاقل وأزمات مُفتعلة، ناهيك عن قنواتهم الفضائية المنتشرة التي تُعلن عداءها لأهل السنة، وعلى رأسهم هذا الخبيث المقيم بلندن والذي يسمى ياسر الحبيب؛ حيث لا يتورع عن سب صحابة رسول الله والسيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها .

وتجدر الإشارة هنا إلى ما قامت به مصر من تصدٍ واضحٍ لمحاولة نشر معتقداتهم عقب ثورة يناير عام (٢٠١١م)، ولعل هذا ما تسبب في مقتل الشيعي حسن شحاتة الذي تطاول علانية على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها- والخلفاء الراشدين، وبالرغم من أنني ضد مبدأ القتل في جميع الأحوال إلا أنّ هذا الرجل كان لا بد من وقفةٍ صارمةٍ معه، وهذا ما حدث بالفعل، حتى تبقى مصر بلد الوسطيّة والاعتدال على نهج أهل السنة والجماعة.

❄❄❄❄❄❄❄❄❄

العلويون:

العلوية هي أحد طوائف الشيعة التي نجد لها وجودًا بارزًا في عصرنا الحاضر، حيث تتمركز هذه الطائفة في الجمهورية العربية السورية، وهي تحمل نفس مبادئ وعقائد فرقة الإمامية من حيث تسلسل الأئمة الاثني عشر، وقد افترقوا عن الاثني عشرية ما بعد الإمام الحادي عشر الحسن العسكري، وكان الاختلاف في المرجعية والزعامة، وفي بعض الأمور التي جرت عليها العادة عند الإمامية، وتشير أصابع الاتهام إلى تلك الطائفة؛ فيصفها بعض الشيعة بالغلو، ويصفها أهل السنة بأنها فرقة باطنية تكتم عقائدها الحقيقية.

والعلويون الأصليون هم المتواجدون في الجبال الساحلية السورية، ويختلفون عن علويّي المغرب أو اليمن أو تركيا.

ويطلق اسم علويين على كل من تولّى الإمام علي بن أبي طالب ووافقهُ وسارَ في نهجه، وذلك أن الحكام الأمويين والعباسيين كانوا يطلقونه على هؤلاء الأتباع، والطائفة العلوية تتبع نفس سلسلة أئمة الاثني عشرية بداية بالإمام علي بن أبي طالب، ونهاية بالإمام محمد بن الحسن الغائب، فضلا عن وجود بعض النظريات التي يؤمنون بها كالتقمص أو التجايل ونظريتهم في الحجاب والظاهر والباطن والدعوة للدين ومن هنا فإننا نعدها امتدادا لفرقة الإمامية مع وجود بعض الاختلافات اليسيرة.

ويتجمع معظم العلويين في سلسلة الجبال الممتدة من عكار جنوبًا إلى طوروس شمالًا، ويتوزع بعضهم في محافظات حمص، وحماة ودمشق وحوران كيليكيا ومحافظة حاتاي في تركيا، ويوجد في المهاجر الأمريكية أكثر من ربع مليون علوي، فضلاً عن الموجود منهم في لبنان والعراق وفلسطين وإيران، وكذلك في أوروبا من تركيا واليونان وبلغاريا إلى البانيا.

عُرف العلويون بعدة أسماء منها: (النصيريين) نسبة إلى محمد بن نصير، وقد عرفوا أيضا بـ (الخصيبية) نسبة إلى الحسين بن حمدان الخصيبي، لكن كلمة علويين رافقت كلا من العلويون والشيعة من أيام الإمام علي، واحتفظ العلويون بهذا الاسم بعد الإمام الحسن الاخر العسكري.

ومن أشهر العلويين في الشرق الأوسط: قائد ثورة جبال الساحل السوري ضد الفرنسيين الشيخ صالح العلي، بالإضافه إلى عدد من الكتاب والمفكرين كالشاعر أدونيس، والشاعر بدوي الجبل، والشاعر سليمان العيسى، والشاعر والمسرحي ممدوح عدوان، وسعد الله ونوس وغيرهم، ولعل أشهرهم على الإطلاق هم من حكموا سوريا على مدى الخمسين عاما الماضية ولا يزالون في الحكم، إنها عائلة الأسد، ولا يخفى على أحد ما صنعوه من أفعال وحشية تسببت في تشريد الكثير من الشعب السوري، بالرغم من أنّ العلويين أقلية بالمقارنة مع أهل السنة وبقية الطوائف في سوريا، لكنه التحالف الشيعي المعروف المكون من إيران الفارسية وعلويي سوريا والشيعة اللبنانيين.

❄❄❄❄❄❄❄❄❄

الزيـدية:

نصل الآن إلى أكثر فرق الشيعة اعتدالًا، وأقلهم تطرفاً وخروجاً عن الإسلام ومبادئه ألا وهي فرقة الزيدية:

حيث ترجع نسبة هذا الاسم إلى إمامها زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان من أتباع أهل السنة والجماعة، فهي لم تغلُ في عقائدها، ولم يكفر الأكثرون منها أحداً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم ترفع الأئمة إلى مرتبة الألوهية ولا إلى مرتبة النبوة، وقد خرج إمامهم على هشام بن عبد الملك فقتله وصلبه سنة (١٢١ هـ) وخرج بعده ابنه يحيى فقتل سنة (١٢٥ هـ).

ولهذه الفرقة شأنها شأن غيرها من الفرق مبادئ وأصول نستطيع أن نجملها على النحو التالي:

١- الإمام منصوص عليه بالوصف لا بالاسم، وأوصاف الإمام أن يكون فاطميًا ورعاً تقياً سخياً شجاعاً، يخرج داعياً الناس لنفسه، ولا يقولون بالتقية.

٢- يجوز إمامة المفضول مع وجود الفاضل؛ لأن هذه الصفات للإمام الأمثل، فهو بها أولى من غيره، فإن اختار أهل الحل والعقد إماماً لم يستوفِ الشروط وبايعوه صحت بيعته، وبُني على هذا صحة بيعة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وعدم تكفير الصحابة ببيعتهما، وقد خذل زيد أكثر الشيعة لقوله بهذا الأصل.

يجوز خروج إمامين في قُطرين مُختلفين، ولا يجوز خروج إمام ينفي قُطر واحد.

٤- تخليد مرتكب الكبيرة في النار ما لم يتب توبة نصوحاً، وهذا من أثر تلمذة إمامهم لواصل بن عطاء، كما أنه من أسباب خروج الشيعة عليه.

وكما هو واضح فلسنا نجد عند هذه الفرقة ما يدعونا إلى القول بالمغالاة أو التطرف المقيت، وإن كان لنا تحفظ على المبدأ الأخير القائل بتخليد مرتكب الكبيرة في النار.

وتعد اليمن هي مركز هذه الفرقة؛ حيث تنتشر فيها الزيدية بشكل كبير، وحتى لا يختلط الأمر على القارئ فإن الحوثيين هم أتباع الإمامية الاثني عشرية وليس الزيدية.

❄❄❄❄❄❄❄❄❄

الإسماعيلية (الباطنية):

تعد من الفرق التي نلمس لها نشاطاً ملحوظاً في عصرنا الحاضر، كما نجد لها أصولاً بعيدة تمتد عبر قرون طويلة، فهي من الفرق التي نجد لها مسميات عديدة باختلاف المكان الذي تتواجد فيه:

فهي في العراق بـ (القرامطة) و (المزدكية)، وفي مصر بـ (العبيدية)، وفي خراسان بـ (الميمونية)، وفي الشام بـ (النصيرية) و (الدروز) و (التيامنة) و (النزارية) و (السنانية)، وفي فلسطين بـ (البهائية)، وفي الهند بـ (البهرة)، وفي بلاد الأعاجم بـ (البابية)، وتُسمى في بلاد الأعاجم أيضا (الأغاخانية)، وهم (الحشاشين)، ويُطلق عليها (الخطابية)، وفي اليمن بـ (اليامية)، على أنه ليس كل (يامي) إسماعيلياً.

وهي تعد من أكثر فرق الشيعة ضلالاً وشططاً، وأبعد ما يكونوا عن الإسلام؛ لأنهم يقولون إنّ لكل ظاهرٍ باطناً، ويقولون ذلك حتى في القرآن الكريم، فله عندهم ظاهرٌ وباطنٌ، فالباطن لا يفهمه سواهم! وهذه وسيلة من وسائل أهل الضلال لهدم الإسلام.

نشأتهم:

ترجع نشأة فرقة الإسماعيلية إلى ذاك الخلاف الذي وقع بين الشيعة بعد وفاة جعفر الصادق سنة (١٤٨ هـ) حيث ذهب فريق إلى أنّ الإمامة لموسى بن جعفر الصادق، وهو المعروف بالكاظم، وهؤلاء أُطلق عليهم الموسوية، والإمامية، والاثنا عشرية، وذهب آخر إلى أنّ الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق، فسُمّوا الإسماعيلية، وهؤلاء قد زعموا أنّ جعفر الصادق نصّ على إمامة إسماعيل، وقد وقع الخلاف بينهم هل مات إسماعيل في حياة أبيه أولا؟

والأشهر أنه مات في حياة أبيه سنة ١٤٥ هـ ، والذين قالوا بوفاة إسماعيل في حياة أبيه ساقوا الإمامة إلى ابنه محمد بن إسماعيل، ومحمد هذا هو الذي يُسمونه الفاتح وصاحب الزمان.

والحق أنّ للإسماعيلية جذوراً بعيدةً تمتد إلى عبد الله بن سبأ اليهودي، فهم يشتركون في كونهم صنيعة يهودية! وذلك لأنهم كانوا يشتركون مع الرافضة حتى وفاة جعفر الصادق رحمه الله.

والمتأمل إلى تاريخ هذه الفرقة يجد لها رجالاً قد لعبوا دورًا أساسيًا في وضع القواعد والمبادئ والأصول التي قامت عليها هذه الفرقة من هؤلاء إسماعيل بن جعفر وهو مؤسسها، وإليه تنتسب، وكان إسماعيل هذا أكبر إخوته، وأحبهم إلى أبيه. وكان جعفر الصادق – رحمه الله – ينقم على أبي الخطاب، وعلى المفضل بن عمر، والأخير هذا من أتباع أبي الخطاب.

ومن أشهر رؤوس هذه الفرقة: أبو الخطاب، وهو محمد بن مقلاص الأسدي الكوفي، وقد سار هذا الضال في أفكار الغلوّ حتى قُتل على يد عيسى بن موسى والي الكوفة سنة ١٤٣ هـ .

وكان أبو الخطاب أستاذاً للمفضل الجعفي الذي كان وراء محمد بن نصير مؤسس النصيرية، وكان مخلصاً لميمون القدّاح ولابنه عبد الله بن ميمون . وهذان ممن عملا بشكل فعال على انطلاقة الإسماعيلية، ثم انبثقت منها الحركات الأخرى كالقرامطة والدروز وغيرهم مما ذكرنا.

كذلك من رجال هذه الفرقة:

الحسن بن حوشب، وعلي بن الفضل وهما اللذان نشراً الدعوة الإسماعيلية في اليمن.وقد ادّعى علي بن الفضل هذا النبوة، وأحلّ لأصحابه المحرمات، فأحلّ شرب الخمر، ونكاح البنات والأخوات، وأظهر عقائده الإلحادية في اليمن، وخرّب الكثير من المساجد.

وهذا الخبيث لما احتل مدينة الجند باليمن سنة ٢٩٢ هـ صعد المنبر وقال هذه الأبيات:

خــذي الدفّ يا هذه واضربي	وغــنّي هــزارك ثـم اطربي
تولّـــى نـبيّ بـني هاشـــم	وجــاء نــبي بـني يعـــرب
أحـــلّ البنـات مـع الأمهـات	ومن فضله زاد حلّ الصبيّ
لكـــل نبيّ مــضى شرعـــه	وهـــذي شريعـة هـذا النبيّ
فقد حط عنا فروض الصلاة	وحــط الصيـام ولم يتعب
ومــا الخمــر إلا كماء السمـاء	حلال فقدّست من مذهب [1]

وبقي يعيث باليمن فساداً حتى مات مسموماً سنة ٣٠٣ هـ ، وأبو عبد الله الشيعي الذي نشر الدعوة في المغرب، وميمون القدّاح وابنه عبد الله بن ميمون، ابنه أحمد بن عبد الله الذين نشروا الدعوة في مصر وغيرها، والفرج بن عثمان القاشاني الذي أظهر الدعوة في البحرين، وقد استمال شخصاً يُدعى حمدان بن قرمط الأشعث. وهذا الأخير حمدان هو مؤسس فرقة القرامطة الإسماعيلية الذين سنتحدث عنهم فيما بعد، ثم جاء من بعده داعية إسماعيلي هو الحسن بن بهرام المعروف بـ (أبي سعيد

[1]- انظر كشف أسرار الباطنية ، للشيخ محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي اليماني ص (٥٥) والحركات الباطنية ، د / محمد الخطيب ص (٦٦)

الجنّابي)، وقد هاجم هذا (هجر) سنة ٢٨٧ هـ واحتلها، وجعلها عاصمة له. وهو الذي تعرض للحجاج في طريقهم وقتلهم على مدى سنوات، حتى كان من شأنه أن قتل الحُجاج في الحرم، وردم بئر زمزم بالقتلى، وقد أمر بعد ذلك بقلع الحجر الأسود.

ومن أشهر أئمتهم عبيد الله المهدي، وهو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح، وقد انتسب إلى آل البيت وتستر بذلك، وادعى أنه علويّ، وإليه تُنسب الدولة العبيدية، ومن هنا سُمّيت الدولة العبيدية بـ (الفاطمية) نسبة إلى فاطمة الزهراء - رضي الله عنها –وهي منهم براء.

وبعد وفاة المستنصر بالله سنة ٤٨٧ هـ انقسمت الإسماعيلية إلى: مستعلية نسبة إلى المستعلي بن المستنصر، وهي التي عُرفت بعد ذلك بـ (البهرة) و (نزارية) نسبة إلى نزار بن المستنصر.

والنزارية تُسمى في بلاد الأعاجم (الأغاخانية)، ومن أشهر مؤسسيها الحسن بن الصباح، وقد عُرف أنصاره بـ (الحشاشين)، ومنهم (شيخ الجبل) وهو راشد بن سنان، الذي كوّن فرعاً للحركة في بلاد الشام، وعُرفوا بـ (السنانية)،ولا تزال جذورهم باقية في الشام في سلمية والخوابي والقدموس ومصياف وبانياس والكهف. ثم كان تقويض دولة الإسماعيلية على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧ هـ .

ومن هنا فإن الرافضة عموما، والإسماعيلية خصوصاً، يكرهون بل ويحقدون على صلاح الدين – رحمه الله – ويُحاولون تشويه سمعته.

معتقداتهم:

١- القول بالتجسيم أي تشبيه الله بخلقه وأشد منه التعطيل، فقد عطلوا الله من كل وصف مع نفيهم للأسماء والصفات، كذلك نفيهم أن الله خلق العالَم خلقا مباشرا، وإنما أبدع الكاف واخترع النون (كُن). هذا مع اعتقادهم أن الله لم يخلق الخلق، وأنه لا يُدبر شؤونهم ولا يرزقهم ولا يُحييهم ولا يُميتهم، وإنما الذي يقوم بذلك كله هو العقل الأول الذي أبدعه الله بزعمهم.

٢- ومن المبادئ التي استمدها الإسماعيلية من المجوس مبدأ أن للكون إلهين! ويُعبر عنه عندهم بـ (السابق والتالي)، وهو موجود حتى عند المعاصرين، بل عند الكتّاب والمثقفين منهم !

٣- يقولون بالحلول وبِقِدَم العالَم والقول بتناسخ الأرواح، والقول بالوصية والرجعة

٤- النبوّة عند الإسماعيلية مكتسبة، فباستطاعة الإنسان أن يُصبح نبيّاً !، وبالتالي فإنهم يعتقدون أن علياً بمنزلة محمد صلى الله عليه وسلم .

٥- إنكارهم أن يكون القرآن وحياً، بل يعتقدون أنه من المعارف التي فاضت على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

٦- المغالاة في أئمتهم حتى يرفعوهم إلى مرتبة الألوهية كحال الرافضة تماماً.

٧- اعتقادهم أن للإسلام سبع دعائم، لا يكون الإنسان مسلماً إلا بها، وهي: الولاية، والطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، على أنهم يقولون بالمعاني الباطنية لهذه الدعائم ، لا كما يقوله أهل الإسلام.

٨- إنكارهم للكثير من الغيبيات، ويلوون نصوص الوحي؛ لتوافق مذهبهم، فقد جاءوا بمفاهيم مغايرة تماماً لما جاء به الإسلام، خاصة فيما يتعلق بالمبدأ والمعاد، وعذاب القبر ونعيمه، والجنة والنار، وغيرها من الأمور الغيبية. وهم مع ذلك لا يؤمنون ببعثٍ ولا نشور، ويُنكرون المعاد والحساب.

٩- اتفاقهم مع الرافضة في الاعتقاد في الصحابة - رضوان الله عليهم - بل أشد؛ فقد نعتوهم بالصفات القبيحة كإبليس وفرعون وهامان والطاغوت وهُبل وغير ذلك !

وإن كانت الرافضة تشترك معهم في نعت الشيخين بـ (الجبت والطاغوت) !

من المبادئ السابقة نكتشف مدى الضلال والفساد العقلي والديني الذي وصل إليه هؤلاء حتى إن بعضهم قد ادّعى النبوة، بل الأدهى من ذلك أنْ ادّعى سلطانهم طاهر سيف الدين أنّه إله حقيقة، وكان ذلك سنة (١٩١٧ م).

وحتى أكون أمينة مع القارئ لابد أن أسرد سراً موجزاً لبعض حركات الإسماعيلية التي نجد لها مسميات دون أن نعرف حقيقتها، وما ذلك إلا لتكتمل الرؤية في هذا الكتاب، ومن تلك الحركات: القرامطة، العبيدية، الميمونية، النصيرية، السنانية، البهائية، البهرة، البابية، الأغاخانية، اليامية.

وسنحاول استقصاء كل حركة من هذه الحركات بالقول والتحليل علي النحو التالي:

١- القرامطة:

تعد القرامطة من أكثر حركات الإسماعيلية شراسة وضلالاً؛ حيث إنها أحدثت جدالاً واسعاً في المجتمع الإسلامي، نتيجةً لأفعالها المشينة، فيكفي قيامهم بسرقة الحجر الأسود.

ويرجع أصل القرامطة إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه، وهو من الأهواز ثم رحل إلى الكوفة، وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وحقيقتها الإلحاد والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية.

والقرامطة كانوا دعاة للإسماعيلية، ثم انحرفوا عنهم عندما علموا أن الدعوة في السلمية (إحدى معاقل الإسماعيلية) لم تعد لأولاد محمد بن إسماعيل وإنما لأولاد عبد الله بن ميمون القداح الذي يعد رأس الأفعى للقرامطة بنشر المبادئ الإسماعيلية في جنوب فارس سنة ٢٦٠ هـ، ومن ثم كان له داعية في العراق اسمه الفرج بن عثمان القاشاني المعروف بذكرويه الذي أخذ يبث الدعوة سراً.

وفي سنة ٢٧٨ هـ نهض حمدان قرمط بن الأشعث يبث الدعوة جهراً قرب الكوفة ثم بنى داراً أسماها دار الهجرة، وقد جعل الصلاة خمسين صلاة في اليوم، وهرب ذكرويه واختفى عشرين عاماً، وبعث أولاده متفرقين في البلاد يدعون للحركة الإسماعيلية مبادئهم:

أ- ادعى القرامطة أنهم يقاتلون من أجل آل البيت، وأسسوا دولة شيوعية تقوم على شيوع الثروات، وعدم احترام الملكية الشخصية، وجعلوا الناس شركاء في النساء بحجة استئصال أسباب المباغضة.

ب- ألغوا أحكام الإسلام الأساسية، وأبطلوا القول بالمعاد والعقاب، ويعتقدون بأن الجنة هي النعيم في الدنيا، والعذاب هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد.

ج- ويقولون بالعصمة، وأنه لابد في كل زمان من إمام معصوم يؤول الظاهر ويساوي النبي في العصمة، ومن تأويلاتهم:

- الصيام: الإمساك عن كشف السر.
- البعث: الإهتداء إلى مذهبهم.
- النبي: شخص فاضت عليه من الإله الأول قوة قدسية صافية.
- القرآن: تعبير محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - عن المعارف التي فاضت عليه، ومركب من جهته، وسمي كلام الله مجازاً.

د- وجود إلهين قديمين أحدهما علة لوجود الثاني، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه، ويقولون بالرجعة، وأن علياً - رضي الله عنه - يعلم الغيب، ويفرضون على أتباعهم الضرائب الباهظة.

هـ - استمدوا عقائدهم وأفكارهم من الفلسفة المادية التي جاءت من تعاليم الملاحدة والمتآمرين من أئمة الفرس، وتأثروا بمبادئ الخوارج الكلامية والسياسة ومذاهب الدهرية، وتعلقوا بمذاهب الملحدين مثل مزدكوزرادشت.

تلك هي أفكار القرامطة، وقد دامت هذه الحركة قرابة قرنين من الزمان، وقد بدأها عبد الله بن ميمون القداح في جنوب فارس سنة ٢٦٠ هـ، وانتقلت إلى سواد الكوفة والبصرة، وامتدت إلى الأحساء والبحرين واليمن ، وسيطرت على رقعة واسعة من جنوبي الجزيرة العربية والصحراء الوسطى وعمان وخراسان، وقد بذلوا جهداً كبيراً في محاربة دولة الخلافة العباسية، وقتل المسلمين في أنحاء عديدة.

وفي سنة (٢٨٦ هـ) تحرك القرامطة برئاسة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي، واستولوا على هجر وما حولها من البلاد وأكثروا فيها الفساد.

وقد كان أبو سعيد هذا سمساراً في الطعام يبيعه، ويحسب للناس الأثمان بالقطيف، فجاء أبو سعيد وعاث في الأرض فساداً، وأخافوا أهل العراق والشام، إلى أن هلك أبو سعيد سنة ٣٠١ هـ ، ثم قام بأمر القرامطة من بعده ولده الملقب بأبي طاهر الجنابي.

وكثر دعاة القرامطة وصار لهم دولة، وفي سنة (٣١٧ هـ) اشتدت شوكتهم جداً وتمكنوا من الوصول إلى الكعبة والناس يوم التروية، فما شعروا إلا والقرامطة برئاسة أبي طاهر قد انتهبوا أموالهم، وقتلوا كل من وجدوا من الحجيج في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة، وجلس أميرهم أبو طاهر على باب الكعبة والرجال تصرع حوله، ويقول: (أنا الله وبالله أنا، أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا)، ولم يدع أحداً طائفاً أو متعلقاً بأستار الكعبة إلا قتله، ثم أمر بإلقاء القتلى في بئر زمزم، ودفن كثيراً منهم في المسجد الحرام، ثم هدم قبة زمزم،وأمر بقلع باب الكعبة، ونزع كسوتها عنها، ثم أمر بقلع الحجر الأسود من مكانه وأخذوه معهم فمكث عندهم اثنتين وعشرين سنة.

نهاية القرامطة سياسياً وعسكرياً:

في منتصف القرن الرابع الهجري دخل القرامطة النهاية لأسباب داخلية وأُخرى خارجية، وما لبثوا أن زالوا عن مسرح الصراع في المشرق العربي من الناحيتين السياسية والعسكرية:

الأسباب الداخلية:

من الواضح أنّ الحركة القرمطية لم تستطع إخفاء مقاصدها الحقيقية في محاربة العقيدة الإسلامية الصحيحة، لا سيما بعد الانتصارات المحلية لبعض زعمائها على السلطة العباسية، فقد أساء المتأخرون من هؤلاء الزعماء التصرف بالنسبة للمجتمع الإسلامي آنذاك، حتى أنّ العبيديين وهم على منوالهم في الاتجاه السياسي والعقائدي اضطروا إلى أن يتبرأوا منهم وأن يهاجموهم عسكرياً في أماكن تواجدهم، حيث أوعزوا إلى قائدهم العسكري (جوهر الصقلي) بأن يذيع بياناً يستنكر فيه أعمال القرامطة ويتبرّأ من تصرفاتهم المغايرة للإسلام والضارة بالمسلمين، على أنّ جوهر لم يكتف بهذا البيان بل حاربهم فعلاً على أرض فلسطين في الرملة (سنة ٣٦٨ هـ)، و كانت هذه المعركة بداية النهاية بالنسبة للحركة القرمطية ولأتباعها على مختلف المستويات وفي جميع البلدان التي انتشروا فيها بقوة الدعاية التبشيرية أو بقوة السلاح والإرهاب.

ويمكن القول: بأنّ حادثة العدوان التي قام بها القرامطة على مكة المكرمة بقيادة أبي طاهر الجنابي، وما رافق ذلك من قتل الحجاج، واقتلاع الحجر الأسود من مكانه، وأخذه إلى هجر، كان بمثابة القنبلة الموقوتة التي انفجرت بعد حين، ودمرت الكيان القرامطي من أساسه، حتى إنّ أبا محمد عبيد اللّه الذي أسس الدولة العبيدية، وكان هو نفسه قرمطي العقيدة استبشع هذه الحادثة وأفزعته مضاعفاتها السلبية في

الأوساط الإسلامية؛ فأرسل كتاباً لنظرائه قرامطة البحرين ينكر فيه عليهم فعلتهم الشنيعة، ويلوم أبا طاهر المذكور، ويلعنه ويقيم عليه القيامة، بقوله:

(قد حقّقت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت، وإن لم تردّ على أهل مكة وعلى غيرهم من الحجاج ما أخذت منهم، وترد الحجر الأسود إلى مكانه، وترد كسوة الكعبة، فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة).

وهذه الحادثة المشؤومة كانت (سنة ٣١٧ هـ) وهنا فإنّنا نرى من الفائدة تسجيل وجهة نظر القرامطة في هذه الحادثة كما عبّرعنها أبو طاهر القرمطي الذي اقترف هذه الجريمة النكراء، وذلك من خلال الشعر الذي قاله في هذه المناسبة، والرد الذي أرسله إلى الخليفة العباسي المقتدر باللّه.

قال أبو طاهر في تبرير اقتلاع الحجر الأسود والعدوان على البيت الحرام:(فلو كان هذا البيت للّه ربّنا لأنّا حججنا حجة جاهلية، وأنا تركنا بين زمزم والصفا ولكان ربّ العرش جلّ جلاله صب علينا النار من فوقنا صبا مجللة لم تبق شرقاً ولا غرباً، كتائب لا تبغي سوى ربها ربا، لم يتخذ بيتاً ولم يتخذ حجبا).

ومن العوامل الداخلية الأخرى التي أضعفت القرامطة، وأدّت إلى ذهاب ريحهم واضمحلال شوكتهم الانقسام الذي فرّق أمرهم فيما بينهم، وخاصة بعد موت أبي طاهر سليمان، مما اضطرهم إلى تعديل نظام (مجلس العقدانية) وتحويله (إلى مجلس السادة) الذي أوهن قيادتهم المركزية، والحروب التي شنها بعضهم على بعض في عهدي أبي طاهر والأعلم خارج مركز قوتهم (البحرين) ممّا كبدهم أموالاً طائلة، وأضعف مواقفهم بعد كل معركة، وأدّى إلى قيام حركات انفصالية داخل مجموعتهم لا سيما في عمان واليمن.

الأسباب الخارجية:

أمّا الأسباب الخارجية التي أدّت إلى زوال الحركة كدولة ونظام ومجتمع، فإنّ المؤرخين يردّون ذلك إلى الظواهر السلبية التي عانوا منها في أُخريات أيامهم وهي التالية:

ظهور دولة بني بويه المناوئة للقرامطة التي نجحت في جرهم إلى حروب جانبية، خلقت لهم أعداء من كلّ جانب، وخاصة من الدولة العبيدية المصرية، وقلة الأموال التي كانت بحوزتهم، فلم يعودوا يتمكنون من الاستمرار في صرف المعتاد من العطايا على البدو ممّا أضعف موالاة هوَلاء لهم، وتحوّلوا عنهم إلى العباسيين لهذا السبب، وانقلاب قبائل إقليم البحرين نفسها عليهم، مثل: بني عقيل، وبني تغلب، ونجاح هذه القبائل بالتغلب على بعض أطراف الدولة القرمطية مثل القطيف وما جاورها.

ومن العوامل الخارجية الأخرى التي قادت القرامطة إلى نهايتهم وتلاشيهم أنّ أسيادهم وحلفاءهم ورفاقهم في الاتجاه المذهبي والمبادئ العقائدية، نعني: العبيديين حكام القاهرة، انقلبوا عليهم بعد أن ضاقوا ذرعاً بتأرجحهم بين الولاء لبغداد وبين الاستسلام للقاهرة، وبخروجهم عن كلّحد، وزاد غيّهم وسفكهم للدماء، وغزوا مكة، وفتكوا بالحجيج، واقتحموا البيت الحرام، ولمّا ذهبوا في جرأتهم إلى مهاجمة الدولة الفاطمية ذاتها في الشام وانتزعوا منها دمشق وهاجموها في مصر منزلها الجديد، تنكرت لهم وأنكرت ثورتهم وتبرأت منهم.

٢- العبيدية:

هي حركة تبنت المذهب الشيعي الإسماعيلي، واستمرت حوالي ثلاثة قرون من الزمان (٢٩٧ – ٥٦٧هـ).

وتنبع أهمية هذه المسألة من نظرية الإمامة الشيعية، التي تعتبر الإمامة ورئاسة الدولة حقاً مقدساً لآل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وعقبهم، وأنها منحصرة فيهم إلى يوم القيامة، وهذا المعتقد تشترك فيه جميع فرق الشيعة.

وإذا كان الانتماء إلى آل البيت شرطاً لتولي الإمامة عند فرق الشيعة، فقد لجأ بعضهم إلى نسب نفسه إلى ذلك البيت الطاهر، وقامت دول على ادّعاء النسب، على رأسها الدولة العبيدية، ومؤسسها عبيد الله المهدي، ذلك لأن ادّعاء النسب الشريف يقرب المحكومين إلى الحاكم، ويوطد أركان الدولة، ويعمل على التصدي للمعارضين والمناوئين.

ومما جناه العبيديون من انتحال النسب الشريف، إخفاء أصلهم المجوسي، الذي أكده أغلب العلماء والمؤرخين . كما سيأتي بيانه . وهؤلاء العلماء كان لهم الدور الكبير في بيان زيف العبيديين، وفضح ادعاءاتهم، بشكل فردي وجماعي.

وقد تمثلت إحدى الجهود الجماعية في (المحضر) الذي كُتب في بغداد سنة ٤٠٢هـ، ويكذب انتساب العبيديين إلى آل البيت، ووقّع عليه عدد كبير من علماء الأمة وفقهائها.

وتنسب الدولة العبيدية إلى أول حكامها عبيد الله المهدي، المولود في الكوفة بالعراق سنة ٢٦٠هـ .

وذهب جمع من المؤرخين والباحثين إلى أنّ عبيد الله هذا اسمه الحقيقي: سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان (القداح)، أما ميمون فقد كان معاصراً لمحمد بن إسماعيل، الذي اعتبرته طائفة من الإسماعيلية إماماً لها، وكان أبوه (ديصان) مجوسياً، أما ميمون فقد أظهر الإسلام، وانخرط في صفوف الدعوة الإسماعيلية في وقت مبكر، ثم ورثه أبناؤه في الدعوة والعمل معاً، إذ تسلم الأمر من بعده ابنه (عبد الله) المتوفى سنة ١٨٠هـ، ثم (أحمد) و (الحسين).

وقد انتقلت أسرة القداح إلى (السلمية) في سوريا بعدما أشيع عن انتقال أسرة محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق إليها، وعندما وجدت الأسرة القداحية نفسها ذات إمكانات وطاقات بما تحصل عليه من مال ودعم مشبوه وتأييد من الإسماعيليين، عدّت نفسها من نسل محمد بن إسماعيل، وبخاصة عندما وجد هذا التشابه في الأسماء.

وقد بدأ هذا الادّعاء بعد وفاة الحفيد الرابع لإسماعيل بن جعفر، والحفيد الرابع هو الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر، ولعلّ التشابه الكبير في الأسماء بين سلالة القداح، وسلالة إسماعيل، قد ساعد عبيد الله على انتحال نسب من إسماعيل.

وبعد أن قضى جزءاً من حياته في الشام متخفيًا عن نظر العباسيين، الذين كانوا يلاحقونه، ظهر عبيد الله في بلاد المغرب العربي، التي كانت بعيدة عن سيطرة ونفوذ العباسيين لينشر الدعوة هناك، ثم ادّعى أنه المهدي المنتظر، وتلقب بالمهدي.

وقد سبق انتقال عبيد الله المهدي إلى المغرب إرسال الإسماعيليين أحد دعاتهم إلى هناك، وهو الحسين بن أحمد، الذي اشتهر باسم (أبي عبد الله الشيعي)، وقد حقق هناك نجاحاً في الدعوة إلى المذهب الإسماعيلي.

ويشكل عبيد الله المهدي أول أئمة الظهور عند الإسماعيليين، وقد استطاع تأسيس دولته في المغرب سنة ٢٩٧هـ بعد انتصاره على دولة الأغالبة، ثم أخذت الدولة تتوسع شيئاً فشيئاً حتى شملت المغرب العربي ومصر والحجاز واليمن، وأجزاء من بلاد الشام وشمال العراق.

وتشكل الفترة التي سبقت تأسيس الدولة العبيدية سنة ٢٩٧هـ، مرحلة الستر والكتمان عند الإسماعيلية، وهو ما يزيد الأمر غموضاً فيما يتعلق بنسب الأئمة العبيديين.

وقد استند أهل السنة إلى أدلة كثيرة في نفي النسب الفاطمي عن العبيديين، منها:

أ . تجنب أئمة العبيديين الإفصاح عن نسبهم، إذ أن رابع حكامهم المعز لدين الله عندما دخل مصر، ولقيه أشرافها وسألوه عن نسبه، اكتفى بأن سلّ لهم نصف سيفه، وقال: هذا نسبي، ونثر عليهم ذهباً كثيراً، وقال: هذا حسبي.

كما أن ولده العزيز، عندما كتب إلى خليفة الأندلس عبد الرحمن الثالث الأموي كتاباً يسبّه ويهجوه فيه، جاء رده عليه: "فإنك عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك".

ب . اضطراب الإسماعيليين أنفسهم في نسب أئمتهم، واسم مؤسس دولتهم عبيد الله، فبعضهم يسميه (عبيد الله) والبعض (عبد الله) وآخرون يسمونه (سعيد الخير)، وبعض المتأخرين منهم يسمونه (محمداً).

كما اختلفوا في أسماء آبائه وأجداده اختلافاً كبيراً، يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير: "لم تضطرب آراء الإسماعيلية في ذلك، وتختلف أقوالهم إلاّ لمحاولتهم جعل المهدي من البيت العلوي، وإعطائهم ظهوره صبغة التقديس حسب نبوءات الرسول - صلى الله عليه وسلم - والأئمة من أهل بيته"

جـ . إنكار آل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - من آل أبي طالب المقيمين وقت إصدار المحضر في بغداد لصحة انتساب العبيديين إلى أبناء عليّ وفاطمة، وعلى رأس هؤلاء الشريف الرضي، والمرتضى، وأبوهما نقيب الطالبيين أبو أحمد الموسوي، ومنهم كذلك الشريف أخو محسن، والشريف ابن طباطبا.

د . الموقف الذي جرى بين الصحابي الجليل عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - والحسين بن علي - رضي الله عنهما - لمّا كتب أهل الكوفة الكتب للحسين يدعونه للقدوم إليهم ومبايعته، حيث قال ابن عمر للحسين: "لا تذهب إليهم، فإني أخاف عليك أن تقتل، وإن جدّك (النبي صلى الله عليه وسلم) قد خُيّر بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة على الدنيا، وأنت بضعة منه، وإنه والله لا تنالها لا أنت ولا أحد من خلفك ولا من أهل بيتك".

يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير: "فهذا الكلام الحسن الصحيح المتوجه المعقول، من هذا الصحابي الجليل، يقتضي أنه لا يلي الخلافة أحد من أهل البيت إلاّ محمد بن عبد الله المهدي الذي يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى بن مريم، رغبة بهم عن الدنيا، وأن لا يدنسوا بها، ومعلوم أن هؤلاء (العبيديين) قد ملكوا ديار مصر مدة طويلة، فدلّ ذلك دلالة قوية ظاهرة على أنهم ليسوا من أهل البيت، كما نصّ عليه سادة الفقهاء"[1].

هـ . أن إنكار انتسابهم إلى آل البيت، كان محل اتفاق بين المسلمين وعلمائهم منذ نشأة هذه الدولة ومنذ وقت مبكر، وقد بدأ ذلك مع بداية عبيد الله المهدي، وكان أول الرادين عليه أبو العباس، الأخ الأكبر لأبي عبد الله الشيعي، وكذلك القرمطي الحسن الأعصم، وهو زعيم جماعة القرامطة التي تنتمي للإسماعيلية أيضا.

[1]- الإسماعيلية للشيخ ظهير ص (٢٢٨) .

وكان الإنكار عليهم ذائعاً شائعاً، حتى إن خامس حكامهم العزيز بن المعز، صعد المنبر أحد أيام الجمعة في أول حكمه، فرأى ورقة على المنبر فيها هذه الأبيات:

إنا سمعنا نسباً منكراً	يتلى على المنبر في الجامع
إن كنت فيما تدعي صادقاً	فاذكر أباً بعد الأب الرابع
وإن ترد تحقيق ما قلته	فانسب لنا نفسك كالطائع
أو فدع الأنساب مستورة	وادخل بنا في النسب الواسع
فإن أنساب بني هاشم	يقصر عنها طمع الطامع[1]

وقد وقفت الأمة بحكامها وعلمائها في وجه الإفساد الذي تبناه العبيديون.

نهاية العبيدية (الفاطمية):

نهاية الفاطميين في عام(٥٦٧هـ) خطب باسم الخليفة المستضيء بأمر الله العباسي، وقطعت الخطبة للعاضد لدين الله فانقطعت ولم تعد بعدها.

وذلك أنه لما ثبتت قدم صلاح الدين بمصر وأزال المخالفين له وضعف أمر الخليفة العاضد بقتل رجاله وذهاب أمواله، وصار الحكم على قصره قراقوش طواشي أسد الدين نيابة عن صلاح الدين، وتمكنت عساكر نور الدين من مصر طمع في أخذها.

وكتب إلى صلاح الدين وفي ظنه وظن جميع عساكره أن صلاح الدين إنما هو نائب عنه في مصر متى أراد سحبه بإذنه لا يمتنع عليه يأمره بقطع خطبة العاضد وإقامتها للمستضيء العباسي، فاعتذر بالخوف من قيام المصريين عليه وعلى مَن معه لميلهم إلى

[1]- الإسماعيلية للشيخ ظهير ص (٢٠٦) .

الفاطميين، ولأنه خاف من قطع خطبة العاضد وإقامة الخطبة للمستضيء أن يسير نور الدين إلى مصر وينزعه منها.

فلم يقبل منه نور الدين وألح عليه وألزمه إلزاماً لم يجد مندوحة عن مخالفته وساعدته الأقدار بمرض العاضد المرض الذي غلب على الظن أنه لا يعيش منه، فجمع صلاح الدين أصحابه إليه واستشارهم في ذلك، فاختلفوا فمنهم من أشار بقطع خطبة العاضد، ومنهم لم يشر بها.

فتقدم إلى جميع الخطباء بأن يخطبوا في الجمعة الآتية للمستضيء وكتب بذلك إلى سائر أعمال مصر في يوم الاثنين لإحدى عشرة خلت من المحرم عشية يوم عاشوراء مات العاضد لدين الله، وقامت عليه الواعبة، وعظمت ضوضاء الأصوات النادبة حتى كأن القيامة قد قامت.

وكتب صلاح الدين إلى نور الدين بموت العاضد وإقامة الخطبة للمستضيء كما أشار به مع ابن أبي عصرون، وكانت النفوس متطلعةً إلى إقامة خليفة بعد العاضد من أهله يشار إليه بالأمر فلم يرض ذلك صلاح الدين.

ومات العاضد وعمره إحدى وعشرون سنة، وكان كما يروي المقريزي كريماً سمحاً لطيفاً لين الجانب يغلب عليه الخير وينقاد إليه، وكان متغاليًا في مذهبه شديدًا على مَن خالفه.

٣- النصيرية:

وهي أحد حركات الباطنية، ومقرهم شمال سوريا بالجبال المعروفة بجبال النصيرية، ومنهم قسم في ولاية أطنة والاسكندرونة، وقد سموا أنفسهم بالعلويين، وينسبون لمحمد بن نصير من موالي بني نمير، وكان شيعياً إمامياً من أتباع إمامهم الحادي عشر الحسن العسكري، وقد أسس طائفة النصيرية على مبادئ معينة.

أهم مبادئهم:

أ- الديانة عندهم سر من الأسرار، ولا تلقن للنساء؛ لعدم استطاعتهن حفظ الأسرار، أما الرجل فلا يباح له بسر دينه إلا بعد أن يبلغ التاسعة عشرة ويقسم على اليمين ألا يبوح به ولو أريق دمه.

ب- بيدعون ألوهية عليّ والأئمة من بعده، ويزعمون أن علياً مسكنه السحاب، فإذا مر عليهم السحاب قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن.

ج- يقولون بتناسخ الأرواح، فالخيرة تحل في النجوم، والشريرة في أجسام الحيوانات النجسة.

د- يستعملون الأسماء الإسلامية ما عدا اسم عمر وأبي بكر، ولا يصومون رمضان، ويحتفلون بالأعياد المسيحية.

هـ- الجنة والنار رمز دنيوي، والصلوات الخمس أسماء علي، والحسن والحسين ومحسن وفاطمة، وذكر هذه الأسماء يغني عن غسل الجنابة وعن الوضوء وسائر شروط الصلاة.

و- إباحة الخمر، وأن أكبر الأبالسة عمر، ويليه أبو بكر فعثمان – رضي الله عنهم أجمعين ، وهؤلاء أخطر على الإسلام من اليهود، وقد أفتى ابن تيمية في زمانه بوجوب قتالهم وقتال الدروز.

٤- الدروز:

يعد هذا المسمى شائعاً بيننا في عصرنا الحاضر؛ حيث إن الدروز لهم نشاطٌ واضحٌ علي الساحة السياسية في بلاد الشام، وتدور العقيدة الدرزية حول محورٍ أساسيٍّ تؤلّه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، أخذت جلَّ عقائدها عن الإسماعيلية، وهي تنتسب إلى نشتكين الدرزي، نشأت في مصر لكنها لم تلبث أن هاجرت إلى الشام، عقائدها خليط من عدة أديان وأفكار، كما أنها تؤمن بسرية أفكارها، فلا تنشرها على الناس، ولا تعلمها لأبنائها إلا إذا بلغوا سن الأربعين.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

- محور العقدية الدرزية هو: الخليفة الفاطمي أبو علي المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي الملقب بالحاكم بأمر الله، ولد سنة ٣٧٥هـ، وقتل سنة ٤١١هـ ، كان شاذًّا في فكره وسلوكه وتصرفاته، شديد القسوة والتناقض والحقد على الناس، أكثر من القتل والتعذيب دون أسباب تدعو إلى ذلك.
- المؤسس الفعلي لهذه العقيدة هو: حمزة بن علي بن محمد الزوزني ٣٧٥هـ/ ٤٣٠هـ، وهو الذي أعلن سنة ٤٠٨هـ أنّ روح الإله قد حلت في الحاكم، ودعا إلى ذلك، وألف كتب العقائد الدرزية.
- محمد بن إسماعيل الدرزي المعروف بنشتكين، كان مع حمزة في تأسيس عقائد الدروز إلا أنه تسرع في إعلان ألوهية الحاكم سنة ٤٠٧هـ ، مما أغضب حمزة عليه وأثار الناس ضده، حيث فرَّ إلى الشام، وهناك دعا إلى مذهبه، وظهرت الفرقة الدرزية التي ارتبطت باسمه على الرغم من أنهم يلعنونه؛ لأنه خرج عن تعاليم حمزة الذي دبّر لقتله سنة ٤١١ هـ

- الحسين بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم أو الأجدع: وهو المبشر بدعوة حمزة بين الناس.
- بهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد السموقي المعروف بالضيف: كان له أكبر الأثر في انتشار المذهب وقت غياب حمزة سنة ٤١١هـ ، وقد ألَّف كثيراً من نشراتهم مثل: رسالة التنبيه والتأنيب والتوبيخ، ورسالة التعنيف والتهجين وغيرها، وهو الذي أغلق باب الاجتهاد في المذهب حرصاً على بقاء الأصول التي وضعها هو وحمزة والتميمي
- أبو إبراهيم إسماعيل بن حامد التميمي: صهر حمزة وساعده الأيمن في الدعوة، وهو الذي يليه في المرتبة.

ومن الزعماء المعاصرين لهذه الفرقة:

- كمال جنبلاط: زعيم سياسي لبناني أسس الحزب التقدمي الاشتراكي، وقتل سنة ١٩٧٧م.
- وليد جنبلاط: وهو زعيمهم الحالي وخليفة والده في زعامة الدروز وقيادة الحزب.
- د. نجيب العسراوي: رئيس الرابطة الدرزية بالبرازيل.
- عدنان بشير رشيد: رئيس الرابطة الدرزية في استراليا.
- سامي مكارم: الذي ساهم مع كمال جنبلاط في عدة تآليف في الدفاع عن الدروز.
- الناس في الدرزية على درجات ثلاث:

١- العقل: وهم طبقة رجال الدين الدارسين له والحفاظ عليه، وهم ثلاثة أقسام: رؤساء، أو عقلاء، أو أجاويد، ويسمى رئيسهم شيخ العقل.

٢- الأجاويد: وهم الذين اطلعوا على تعاليم الدين والتزموا بها.

٣- الجهال: وهم عامة الناس.

الأفكار والمعتقدات:

- يعتقدون بألوهية الحاكم بأمر الله، ولما مات قالوا بغيبته وأنه سيرجع.
- ينكرون الأنبياء والرسل جميعاً ويلقبونهم بالأبالسة.
- يعتقدون بأن المسيح هو داعيتهم حمزة.
- يبغضون جميع أهل الديانات الأخرى والمسلمين منهم بخاصة ويستبيحون دماءهم وأموالهم وغشهم عند المقدرة.
- يعتقدون بأن ديانتهم نسخت كل ما قبلها، وينكرون جميع أحكام وعبادات الإسلام وأصوله كلها.
- حج بعض كبار مفكريهم المعاصرين إلى الهند متظاهرين بأن عقيدتهم نابعة من حكمة الهند.
- ولا يكون الإنسان درزياً إلا إذا كتب أو تلى الميثاق الخاص.
- يقولون بتناسخ الأرواح، وأن الثواب والعقاب يكون بانتقال الروح من جسد صاحبها إلى جسدٍ أسعد أو أشقى.
- ينكرون الجنة والنار، والثواب والعقاب الأخرويَّيْن.
- ينكرون القرآن الكريم، ويقولون إنه من وضع سلمان الفارسي، ولهم مصحف خاص بهم يسمى المنفرد بذاته.
- يرجعون عقائدهم إلى عصور متقدمة جدًّا ويفتخرون بالانتساب إلى الفرعونية القديمة وإلى حكماء الهند القدامى.
- يبدأ التاريخ عندهم من سنة ٤٠٨هـ ، وهي السنة التي أعلن فيها حمزة ألوهية الحاكم.

- يعتقدون أن القيامة هي رجوع الحاكم الذي سيقودهم إلى هدم الكعبة، وسحق المسلمين والنصارى في جميع أنحاء الأرض، وأنهم سيحكمون العالم إلى الأبد، ويفرضون الجزية والذل على المسلمين.
- يعتقدون أن الحاكم أرسل خمسة أنبياء هم: حمزة، وإسماعيل، ومحمد الكلمة، وأبو الخير، وبهاء.
- يُحرمون التزاوج مع غيرهم، والصدقة عليهم ومساعدتهم، كما يمنعون التعدد وإرجاع المطلقة.
- يَحرمون البنات من الميراث.
- لا يعترفون بحرمة الأخت والأخ من الرضاعة.
- لا يقبل الدروز أحداً في دينهم، ولا يسمحون لأحد بالخروج منه.
- ينقسم المجتمع الدرزي المعاصر. كما هو الحال سابقاً . من الناحية الدينية إلى قسمين:
  - الروحانيين: بيدهم أسرار الطائفة، وينقسمون إلى: رؤساء، وعقلاء، وأجاويد.
  - الجثمانيين: الذين يعتنون بالأمور الدنيوية، وهم قسمان: أمراء، وجهال.
  - أما من الناحية الاجتماعية فلا يعترفون بالسلطات القائمة إنما يحكمهم شيخ العقل ونوابه وفق نظام الإقطاع الديني.
  - يعتقدون ما يعتقده الفلاسفة من أن إلههم خلق العقل الكلي، وبواسطته وجدت النفس الكلية، وعنها تفرّعت المخلوقات.
  - يقولون في الصحابة أقوالاً منكرة، منها قولهم: الفحشاء والمنكر هما (أبو بكر وعمر) رضي الله عنهما.

- التستر والكتمان من أصول معتقداتهم، فهي ليست من باب التقية إنما هي مشروعة في أصول دينهم.
- مناطقهم خالية من المساجد، ويستعيضون عنها بخلوات يجتمعون فيها ولا يسمحون لأحد بدخولها.
- لا يصومون في رمضان، ولا يحجون إلى بيت الله الحرام، وإنما يحجون إلى خلوة البياضة في بلدة حاصبية في لبنان، ولا يزورون مسجد الرسول - صلى الله عليه وسلم -لكنهم يزورون الكنيسة المريمية في قرية معلولا بمحافظة دمشق.
- لا يتلقى الدرزي عقيدته، ولا يبوحون بها إليه، ولا يكون مكلفاً بتعاليمها إلا إذا بلغ سن الأربعين وهو سن العقل لديهم.
- يصنف الدروز ضمن الفرق الباطنية؛ لإيمانها بالتقية، والقول بالباطن وبسرية العقائد.
- تؤمن بالتناسخ بمعنى أن الإنسان إذا مات فإن روحه تتقمص إنساناً آخر يولد بعد موت الأول، فإذا مات الثاني تقمصت روحه إنساناً ثالثاً وهكذا في مراحل متتابعة للفرد الواحد.
- للأعداد خمسة وسبعة مكانة خاصة في العقيدة الدرزية.

تلك هي معتقدات الدروز ولهم نشاط سياسي واضح في لبنان وسوريا وفلسطين، بل إن من دروز فلسطين من حصل علي الجنسية الإسرائيلية، فانخرط منهم الكثير في الجيش الإسرائيلي.

٥- الميمونية:

والحق إنني بحثت في كثير من المصادر والمراجع عن معلومات لتلك الفرقة، فلم أجد إلا اليسير، فهي تُنسب إلى عبد الله بن ميمون القداح الأهوازي، وهو أحد أقطاب فرقة الإسماعيلية، وتقوم دعوة هذه الحركة على القول بإمامة إسماعيل، ويزعمون أن العمل بظواهر الكتاب والسنة حرام، ويجحدون المعاد.

قال البغدادي : هؤلاء اتباع رجل من الخوارج الشخرية كان اسمه ميمونا وكان على مذهب العجاردة من الخوارج ثم انه خالف العجاردة في الارادة والقدر والاستطاعة وقال في هذه الابواب الثلاثة بقول القدرية المعتزلة عن الحق وزعم مع ذلك أن أطفال المشركين في الجنة"([1]).

وعدهم المؤرخون وأصحاب كتب الفرق خارجون عن ملّة الإسلام وذلك لأنهم أباحوا نكاح بنات البنات وبنات البنين ورأوا قتال السلطان ومن رضي بحكمه فرضا فأمّا من أنكره فلا يرون قتله إلّا اذا أغار عليهم أو طعن في دينهم أو كان دليلا للسلطان.([2])

[1]- الفرق بين الفرق للبغدادي ص (٢٨٠) .
[2]- الملل والنحل للشهرستاني (١ – ١٢٩) .

٦ - السنانية:

أحد حركات الإسماعيلية، وتنسب لسنان بن سلمان بن محمد بن راشد مقدم الإسماعيلية وصاحب دعوتهم في قلاع الشام وأصله من البصرة، كان في حصن ألموت، قرأ كتب الفلسفة والجدل، وانتقل إلى الشام في أيام السلطان نور الدين محمود، فجد في إقامة الدعوة إلى مذهبه، واستولى على عدة قلاع بالشام، أقام فيها ثلاثين سنة، وإليه تنسب الطائفة السنانية، توفي سنة ٥٨٨ هـ ، وهو عند الإسماعيلية أحد الائمة الذين ينحدرون من نسل الامام أحمد الوفي، وقبره في قمة جبل مصياف (جبل المشد أو المشهد العالي)هو وأبوه واثنين من الأئمة الإسماعيلية.

٧- البابية:

ونصل الآن مع حركة أخرى من حركات الإسماعيلية ألا وهي الحركة البابية التي عرفت ظهوراً في إيران على يد المرزا محمد علي الملقب بالباب المولود في سيراز سنة ١٨١٩ م ، وقد ادّعى هذا الشخص كغيره من بعض رجال الإسماعيلية أنه هوالمهدي المنتظر،بل الأكثر من ذلك أنه قد ادّعى النبوة والرسالة مدعياً أن الله قد أوحى إليه بكتاب (البيان) الناسخ للتوراة والإنجيل والفرقان، ثم ادّعى أنه المسيح المنتظر، ثم ارتقى إلى ادّعاء الألوهية، وقدعهد بالخلافة مِن بعده إلى أحد أتباعه وهو مرزا يحيى الملقب بصبح أزل، ومن بعده إلى أخيه حسين الملقب بالبهاء، ولما قُتل الباب بفتوى من العلماء سنة (١٨٥٠ م) تنازع الأمر من بعده يحيى وأخوه حسين وأخذ كل منهما يدّعي بأن الله أوحى إليه بكتاب يصدق دعواه ويكذب دعوة أخيه، وكانت الغلبة في هذا النزاع للبهاء، فظهرت البهائية التي لنا معها وقفة خلفاً للبابية.

٨-البهائية

لعلنا جميعاً قد سمعنا هذا الاسم يتردد كثيرًابعد ثورة يناير (٢٠١١ م) في الإعلام المصري، الذي أشار إلى جماعة يسمون البهائية حيث إنهم يطالبون الحكومة المصرية بأنْ تعتمد ديانتهم البهائية في بطاقتهم الشخصية، وقد دار حول هذا الأمر جدلٌ واسعٌ في أوساط المحاكم المصرية، وبالطبع فقد رُفض هذا المطلب.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه من هم البهائية؟ وإلى مَن تُنسب؟ وفي أي الأماكن يعيشون؟

أقول: إن البهائية هم أتباع المرزا حسين علي الذي لقّب نفسه بالبهاء المولود في بلدة نور من ضواحي مازندران سنة (١٢٢٣هـ)، قام في أول أمره بخلافة الباب، ثم تدرج إلى المهدوية ثم النبوة والرسالة ثم الربوبية والألوهية، وقد عهد بالخلافة من بعده إلى ابنه عباس المسمى عبد البهاء، وقددان البهائيون لكل خليفة بعد البهاء وقدّسوه وعبدوه مثل عبادتهم للبهاء، وقد نزل خليفتهم بمصر سنة(١٨٩٢ هـ)، وأسّس فيها الدعوة للبهائيين، وهلك البهاء في مدينة عكا سنة(١٨٩٢م).

عقائد البابية والبهائية:

وللبابية والبهائية عقائد واحدة تقوم على النحو التالي:

أ- أن للوحي تأويلات سامية ومفاهيم خفية لا يجليها إلا ربها،وبالطبع فليس هو الرب الذي نعرفه نحن المسلمين، لكن المقصود بالرب عندهم هو (الباب أو البهاء) وما يعلم تأويله إلا الله: أي الباب أو البهاء.

ب- كذلك ادّعى المذكور الذي يسمى البهاء المهدوية ثم الرسالة، وأنه نزل عليه كتاب الأقدس الذي نسخ جميع ما تقدمه من الكتب السماوية، ثم ادّعى الألوهية وأمر بعبادة البشر.

ج- إنكار معجزات الأنبياء، والبعث والحشر، والوعد والوعيد،والجنة والنار، ولهذا ارتكبوا تأويل النصوص الدالة عليها بما يتنافى مع اللغة والدين.

د- نسخ جميع الأديان ورسوم عبادتها والحدود الواردة فيها لعدم صلاحيتها للعالم في عصر التقدم، ولهذا جاء البهاء بدينه الجديد للأحمر والأسود، وقد رود في أحكامه أن الصلاة تسع ركعات في البكور والزوال والآصال، وقد بطلت صلاة الجماعة، والقبلة عكا، والحج إليها للرجال دون النساء، وتحريم الحجاب، وإباحة السفوروالاختلاط، وجعل الحدود عقوبات مادية وغير ذلك من مفترياتهم وكذبهم.

قال تعالى: " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو

أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ " ([1]).

طريقهم في الدعوة إلى مذهبهم:

أ- مخاطبة أهل كل ملة ودين بما يوافق هواهم، فتجد الداعية منهم مسلماً مع المسلمين، ويهودياً مع اليهود، يوهم أهل كل دين بأنه منهم، وأنه يريد الإصلاح وإزالة الضغائن، والتوفيق بين أهل المذاهب، فإذا آنس الضعف من أحد أخذ يشككه في دينه وأوردعليه الشبه، وأول الآيات بما ينطبق على مزاعمه في دينه، ثم يدعوه إلى عبادة البشروالعياذ بالله، وهذا شأنهم في ممالك الشرق، خداع ونفاق مع المسلمين، يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر، أما في أوروبا وأمريكا فدعوتهم جهاراً لا يخشون حساباً.

تلك هي الحركة البهائية ومن أبرز شخصياتها التي كانت تصرح بنسبتها إليها في عصرنا الحاضر هو الفنان التشكيلي المعروف حسين بيكار الذي من أصل قبرصي تركي، وفي عام (١٩٧٥ م) ألقت الحكومه المصرية القبض على مجموعة من البهائيين يترأسهم الفنان حسين بيكار، وكان عددهم (٤٨)، واعترف وقتها بأنه كان مكلفًا من قِبل بيت العدل الإسرائيلي ليتولى قيادة كل أماكن العبادة الخاصة بالبهائيين في مصر.

[1] - سورة الأنعام آية (٩٣) .

٩ - القاديانية الأحمدية:

ومن حركات الإسماعيلية التي نجد لها حضوراً قوياً هي حركة القاديانية أو الأحمدية حيث نجد لها منبراً إعلامياً مشهوراً عبر قناة تلفزيونية تسمى الأحمدية، ولها نشاط ملموس داخل بريطانيا، فمَن هم هؤلاء وإلى مَن ينتسبون؟

القاديانية هم أتباع غلام أحمد المولود في (قاديان) مركز بجانب مديرية كورداسور بالهند سنة (١٢٥٢ هـ)، وقد ظلوا فرقة واحدة مدة حياته وأيام خليفته نور الدين، وفي آخر حياة نور الدين ابتدأ الخلاف، وكان من أثره انقسامها بعد وفاته إلى شعبتين:

أ- شعبة قاديان: ورئيسهم محمود بن غلام أحمد.
ب- ب -شعبة لاهور: وزعيمهم محمد علي الذي ترجم القرآن إلى اللغة الانجليزية.

والشعبة الأولى تدين بنبوة أحمد، والثانية تعتقد أنه مُصلِح، وهذا خلاف ما ورد في كتاب مبتدع النحلة من أنه مهدي ثم نبي مرسل ثم عيسى الموعود به، وتوفي أحمد بعد حياة حافلة بنبوة تحرّم الجهاد، وتدعو إلى مساعدة الإنجليز، لأنهم أرباب نعمته، وأصحاب الفضل عليه في حمايته ونشر دعوته.

ولعل ذلك هو السبب الأساسي الذي دفع الحكومة البريطانية أن تجعل من أرضها مأوى لنشر تلك الحركة في بقاع العالم المختلفة.

مبادئ القاديانية:

١- القول بعدم ختم النبوة، وتأويل ما يدل على ختمها.
٢- غلام أحمد المهدي والنبي المؤيد لشريعة محمد - صلى الله عليه وسلم -وهو المسيح الموعود به.

٣- باب الوحي مفتوح للناس، وقد نزل عليه ويسمعه بعض أتباعه.

٤- تحريم الجهاد والدعوة لطاعة ولاة أمر الإنجليز.

٥- قاديان ومسجدها تماثل مكة ومسجدها، والحج إليها مثل الحج إلى مكة، فهي ثالث الأماكن المقدسة.

٦- تكفير من لا يصدق به من المسلمين، وتمثيلهم باليهود الذين كذبوا المسيح يعني نفسه (في السلسلة المحمدية).

٧- تفضيله وتفضيل أتباعه على جميع الأنبياء وأتباعهم.

٨- ادعاؤهم أن المعنى المقصود من الآيات لا يدركها إلا المسيح القادياني، وإنكارهم أن سنة الرسول أصل في التشريع، وهم يدعون الناس عن طريق أنهم مسلمون مصلحون.

والقاديانية والبهائية أخطر أصحاب المذاهب على الأمم الإسلامية وأشد كفراً من اليهود والنصارى والمجوس، ويبطل دعوتهم ما قدمناه من ثبوت عموم رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - وختمها للرسالات، وهم منتشرون في البلاد الإسلامية، يعاونهم الاستعمار بسلطانه الخفي وماله؛ لأنهم أعوانه وأداته في إشاعة الفساد بين المسلمين.

١٠- النزارية:

ونواصل الحديث عن حركات الإسماعيلية لنقف الآن عند إحدى الحركات القديمة ألا وهي النزارية، حيث تمتد أصول هذه الحركة إلى العهد الفاطمي حيث تُنسب إلى نزار المصطفى لدين الله بن مَعَد المستنصر بالله.

وقد ظهرت هذه الحركة عقب موت المستنصر بالله سنة ٤٨٧هـ ، حيث نشب خلاف بين مَن رءوا أنّ ابنه نزار هو الأحق بالخلافة، وبين مَن رءوا أنّ ابنه الآخر أحمد المستعلي بالله هو الإمام.

كان وكيل المستنصر القوي الأفض لشاه نشاه مؤيدًا للمستعلي وأكثر الأطراف المتنازعة نفوذاً، مما حسم الخلاف لصالح هذا الأخير فأصبح الإمام التاسع عشر، وسُجن نزار ومات لاحقا في سجنه في الإسكندرية، وفرّ ابنه الهادي في أتباعه إلى آسيا الوسطى محدثين بذلك انشقاقاً جديداً في الإمامة، بين مستعلية ونزارية.

وقد اغتال النزارية منصور الآمر بأحكام الله بن أحمد المستعلي بالله سنة ٥٢٤هـ ، انتقاما لما يعتقدون أنه اغتصاب للعرش الفاطمي، ولم يكن قد سمّى خليفة، فحدث انشقاق آخر في المستعلية بين الحافظية والطَّيبية.

حينئذ برزت شخصية الحسن بن الصبّاح داعيةً إسماعيليًّا، وقد فرض نفوذه على قلعة ألموت، وعندما فرّ الهادي بن نزار من مصر عقب موت أبيه وتولي عمه المستعلي بالله لجأ إليه فنصره، وبدؤوا نضالًا مسلحًا بهدف استعادة الخلافة الفاطمية، ونشر الدعوة الإسماعيلية وحماية الإسماعيلين، وكان قوام تلك الحركة المسلحة فدائيين عُرفوا بالحشاشين.

وقد ظل الأئمة في ألموت من نسل الهادي متوارين عن العامة حتى أعلن حسن الثاني بن القاهر عن نفسه إماما.

عقائدهم:

تقوم عقيدة النزارية علي مبادئ تشترك كثيراً مع مبادئ الإسماعيلية في عقائدهم العامة؛حيث يؤمنون بالأركان السبعة للإيمان، أي بالصلاة والصيام والزكاة والحج والطهارة والجهاد والشهادة، وبوجود تفسير باطني للقرآن، إلا أنّه على غير فرق أخرى مثل:السبعية والمستعلية الطَّيِّبية ولاحقًا الدروز، فإنّ النزارية لا يؤمنون بغياب الإمام، فوفقا للتقليد النزاري فالإمامة متصلة مِن عليّ إلى الإمام الحضار أغاخان بنسل حسين بن عليّ.

وللنزارية كتاب مقدس يلي القرآن في أهميته هو كتاب الجنان الذي لا يخلو منه بيت نزاري في زماننا.

هذا ملخص عقيدتهم، ومن الأئمة الذين عُرفوا بانتمائهم لهذه الحركة :

نزار المصطفى لدين الله بن معد المستنصر بالله، الهادي بن نزار، مستورالمهتدي بن الهادي، مستورحسن القاهر، مستورحسن الثاني بن القاهر أول إمام يعلن عن نفسه في قلعة ألموت، نورالدين محمد الثاني بن حسن الثاني، جلال الدين حسن الثالث بن محمد الثاني، علاءالدينمحمد الثالث بن حسن الثالث، وقد أنكر علنا ادعاء جده بانحداره من سلالة الأئمة الفاطميين، ركن الدين خورشاه بن محمد الثالث، استسلم له ولاكو خان سنة ١٢٥٦، وقتل أثناء عودته من عند قوبلاي خان.

وبعد سقوط ألموت في يد المغول انقسم النزارية إلى فرق تتبع كل منها إماماً من سلالة أئمة ألموت.

أما عن النزارية في هذا العصر فهم يشكلون النسبة الغالبة من بقية حركات الإسماعيلية، فقد اندمج السبعية مبكرا في الفرق الإسماعيلية الأخرى، وانتهت المستعلية الحافظية بانتهاء الخلافة الفاطمية في مصر في القرن الثاني عشر الميلادي.

١١- الأغاخانية:

هي حركة نبعت من الاسماعيلية، ولها نشاط ملحوظ في عصرنا الحاضر، وترجع أصول هذه الحركة إلى القرن التاسع عشر الميلادي حين ظهر في إيران رجل شيعي إسماعيلي اسمه حسن علي شاه، وجمع حوله عدداً كبيراً من الإسماعيلية وغيرهم، فأرهبوا القوافل، وهاجموا القرى حتى ذاع صيته، وقويت شوكته، وخشيته الأسرة القاجارية الحاكمة في إيران، فأعجب الناس بقوته، وانضموا تحت لوائه طمعاً في المكاسب المادية التي وعدهم بها.

وكان الإنجليز في ذلك الوقت يعملون على بسط الثورة ضد شاه إيران، وقام حسن علي بالثورة ضد الشاه القاجاري بعد أنوعده الإنجليز بحكم فارس، لكن الثورة لم يُكتب لها النجاح؛ حيث قبض عليه الشاه وسجنه، فتدخل الإنجليز للإفراج عنه، فتحقق لهم ذلك على أن يُنفى خارج إيران، فزين له الإنجليز الرحيل إلى أفغانستان، فلما وصلها كشف أمره الأفغانيون، فاضطر إلى الرحيل إلى الهند فأقام بها، واتخذ من مدينة بومباي مقرًا له، واعترف به الإنجليز إماماً للطائفة النزارية الإسماعيلية، ولقبوه بـ(أغاخان). وتجمع الإسماعيليون في الهند حوله، فلما رأى فيهم الطاعة العمياء، كما هي طاعة الإسماعيليين لأئمتهم، قوي عوده، وأخذ ينظم شؤون طائفته إلى أن توفي سنة ١٨٨١م.

ويعتبر حسن علي شاه مؤسس الأسرة الآغاخانية، وأول إمام إسماعيلي يلقب بـ(أغاخان)، وهو الإمام السادس والأربعين في ترتيب الأئمة الإسماعيلية في رأي هذه الفرقة، وصارت هذه الفرقة من الإسماعيلية تعرف بـ(الأغاخانية).

ولما مات خلفه ابنه أغاخان الثاني في الإمامة، ولما مات تولى الأغاخان الثالث، وهو سلطان محمد شاه الذي وصلت الأغاخانية في عهده إلى مكانة كبيرة وانتشار، وكان من أغنى أغنياء العالم، ولما توفى بقصره في سويسرا، أعدت له مقبرة ضخمة في جزيرة

النباتات في أسوان في مصر، ودفن فيها سنة ١٩٥٩م، وتعد تلك المقبرة مزاراً سياحياً، ثم تولى من بعده الأغاخان الرابع كريم بن علي وهو الخليفة الحالي للطائفة.

عقائدهم:

١- بنى الإسماعيليون ومنهم الأغاخانيون معتقدهم في الألوهية على ما أسموه "التنزيه والتجريد"، وانتهوا إلى تعطيل الله سبحانه عن كل وصف، وتجريده من ك لحقيقة، وقالوا: " لا هو موجود، ولا لا موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز..."، ونفوا أسماءه وصفاته بزعم أنه فوق متناول العقل.

وصرفوا صفات الله إلى أول مبدع خلقه الله بزعمهم وهو العقل الأول، واعتبروا أن المخلوقات كلها وجدت بواسطة العقل والنفس!

حيث يقول مصطفى غالب، وهو من الإسماعيلية المعاصرين، في كتابه " الثائر الحميري الحسن الصباح" : " والعقل الأول أو المبدع الأول في اعتقاد الإسماعيلية هو الذي رمز له القرآن بـ "القلم" في الآية الكريمة: "ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ"[١]، وهو الذي أبدع النفس الكلية التي رمز لها القرآن أيضاً بـ " اللوح المحفوظ" ، ووصفت بجميع الصفات التي للعقل الكلي، إلاّ أن العقل كان أسبق إلى توحيد الله فسمي بـ"السابق"، وسميت النفس بـ " التالي"، وبواسطة العقل والنفس وجدت جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية، من جماد وحيوان ونبات وإنسان، وما في السماوات من نجوم وكواكب".[٢]

---

[١]- سورة القلم آية (١) .
[٢]- تاريخ الدعوة الإسماعيلية لمصطفى غالب ص (٣٥٨ – ٣٥٩) .

٢- وفي مقابل تعطي لصفات الله وأسمائه، ونفي صفة الخلق عنه، يصرف الأغاخانيون صفات الربوبية والألوهية إلى أئمتهم، فقد ادّعى الأغاخان الثالث أن الإله متجسم فيه شخصيا، وأن آلافاً من البشر يعتقدون ذلك. ويشير الدكتور محمد كامل حسين رحمه الله في كتابه " طائفة الإسماعيلية " إلى حادثة جرت له مع أغاخان الثالث محمد شاه الحسيني تؤكد ادعاءه للألوهية، فقد قال له: لقد أدهشتني بثقافتك وعقليتك فكيف تسمح لأتباعك أن يدعوك إلاها؟ فضحك أغاخان طويلاً وقال للدكتور محمد كامل: "إن القوم في الهند يعبدون البقرة، ألست خيرًا من البقرة!؟"([1]).

٣- يعتقدون أنّ النبوة مكتسبة وليست هبة من الله، والنبي عندهم عبارة عن شخص فاضت عليه من " السابق" بواسطة " التالي" ، أي العقل والنفس قوة قدسية صافية، ذلك أنّ الإنسان تميز عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض الأنوار عليه، وأنّ النبي يمثل أعلى درجات هذا الاستعداد، وأن هذه القوة القدسية الفائضة على النبي لا تستكمل في أول حلولها، وأن كمال هذه القوة أن تنتقل من الرسول الناطق إلى الأساس الصامت أي الإمام.

وهم بهذا الاعتقاد يعتبرون الإمامة مكملة للنبوة واستمرارًا لها، واشترطوا على النبي قبل أنْ يصل إلى مرتبته أنْ يمرّ بمرتبة الولي، لأنه يجمع في نفسه الولاية والنبوة والرسالة.

وتأكيداً لهذه الفكرة يقول د. مصطفى غالب: " ولمّا كانت النبوة وقتية زائلة فقد شاءت إرادة المبدع أنْ تحل الإمامة محلها وتتمها، وتكون خالدة إلى الأبد كدين وجدت

[1] - طائفة الإسماعيلية / محمد حسين كامل ص (١١٣)

لسعادة البشرية، وهي موجودة في كل عصر وزمان، ولاتزال باقية مرآة صادقة لذات الله، ترشد وتقود البشرية إلى الصراط المستقيم" [١].

ويعتقدون أن جميع الأنبياء لم يأخذوا التأييد ولم يتصل بهم الوحي إلاّ عن طريق وسطاء أسموهم بالحدود الروحانية الخمسة.

٤- يعتقدون أنّ رسالة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ليست آخر الرسالات، بل هي حلقة من حلقات تتابع النبوة، التي انتهت بظهور إمامهم السابع محمد بن إسماعيل بن جعفر كما يزعمون، واعتقدوا أنه فاتح عهد جديد، وصاحب شريعة نسخت شريعة محمد - صلى الله عليه وسلم – وفيما يتعلق بنسخ الشريعة، فإننا نجد كلاماً لا لبس فيه حول هذا الموضوع يصرح به الأغاخان الرابع كريم إذ يقول في مقابلة صحفية في ١٩٧٩/٩/٦:" ليس القرآن مجموعة قانونية، وأعتقد أنّ كل مسلم يقول ذلك، ما يشار إليه اليوم بالشريعة الإسلامية فهو تصنيف لنظريات وضعها الفقهاء الذين عاشوا بعد نزول القرآن الكريم وبعد عصر النبي – صلى الله عليه وسلم - بفترات طويلة. والشيء المهم في القرآن مثلاً هو الأحكام الموجهة إلى خير المجتمع، فإذا كانت هذه نقطة البداية فإني أستطيع القول أن أشياء كثيرة تطبق الآن في أجزاء من العالم الإسلامي ينبغي ألا تكون مطبقة، هذا هو موقفي، لأنني أحب أن أبدأ بالقرآن وليس باجتهادات ظهرت بعد عصر النبي بخمسة أو ستة أجيال).

٥- يعتقدون أن للإسلام سبعة أركان أو دعائم هي: الولاية [٢]، ثم الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد، وجعلوا الولاية الركن الأساسي.

---

[١]- كتاب مفاتيح المعرفة ، د. مصطفى غالب ص (١٦٣ – ١٦٤) ،

[٢]- الولاية: اعتقاد وصاية علي بن أبي طالب وإمامة الأئمة المنصوص عليهم من ذريته، وفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، ووجوب طاعتهم دون غيرهم.

يقول عارف تامر، وهو أحد أعلام هذه الفرقة في سوريا: (إن ولاية الإمام أحد أركان الدين ودعائمه، بل إنها أفضل هذه الدعائم وأقواها، حيث لا يستقيم هذا الدين إلاّ بها، والإمامة هي المركز التي تدور عليه دائرة الفرائض، فلا يصح القيام بهذه الفرائض إلاّ بوجوده، والضرورة عنده تحتم وجوب استمراريتها مدى الدهر، ذلك أنّ الكون لا يمكن له البقاء لحظة بدون إمام، وأنه لو فُقد هذا الإمام ساعة واحدة لفسد الكون وتبدد"([1]). وبسبب مفهومهم هذا للولاية والإمامة، فإنهم اسبغوا على أئمتهم صفات الربوبية والألوهية، وخصّوهم بمعرفة الظاهر والباطن.

٦- يؤمن الإسماعيلية، ومنهم الأغاخانيون أنّ للإسلام ظاهراً وباطناً، ولذا فإنهم يؤولون الغيبيات والفرائض وتعاليم الدين تأويلات فاسدة، فإنهم يتصورون يوم القيامة تصورًا خاصًا، فهو عندهم عبارة عن: قيام النفوس الجزئية المفارقة للمدركات الحسية والآلات الجسمانية، وقيام الشرائع والأديان بظهور صاحب الزمان(الإمام). والبعث يعتبرونه: انتباه النفوس من غفلتها لتتلقى العلوم والمعارف التي تهذبها وتنقيها من أدران عالم الكون والفساد، لتتمكن من اللحاق بالنفس الكلية حيث السعادة والهناء السرمدية [٢] . ويؤولون العذاب والعقاب بما تجده النفوس من الآلام والأوجاع والأسقام، ومفارقة المؤلفات بهجوم الحوادث والنكبات.

٧- وليست الفرائض ببعيدة عندهم عن التأويل الباطني؛ فالصلاة هي صلة الداعي إلى دار السلام، والزكاة إيصال الحكمة إلى المستحق، والصوم الإمساك عن كشف حقائق النواميس الشرعية من غير أهلها، والحج هو القصد إلى صحبة السادة الأئمة من أهل البيت.

---

[1]- كتاب الإمامة في الإسلام لـ عارف تامر ص (٦٩ – ٦٩) .
[2]- مفاتيح المعرفة ل / مصطفى غالب ص (١٠٤) .

والربا يفسرونه بالرغبة في الإكثار، وطلب الحطام بإفشاء الأسرار، والمسكر الحرام ما يصرف العقل عن النوم إلى طلب معرفة الإمام ومشاهدة أنواره المحيطة بالخاص والعام. [1]

ويتوجه بعض الأغاخانيون بقبلتهم إلى حيث يقيم إمامهم، وهم لا يقيمون الصلاة مع المسلمين، ولا يسمون أماكن عبادتهم مساجد إنما بيت الجماعة، والصلاة عندهم عبارة عن مجموعة من السجدات، وهم يجمعون في صلاتهم بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء.

ويعتبرون قبلة المسلمين الكعبة ليست سوى حجارة، ويقولون: إن الحج إليها في بداية الإسلام كان نظرًا للمستوى العقلي للناس في ذلك الوقت، وبدلاً من ذلك يفضلون الذهاب للأغاخان وزيارته، وتقديم الولاء والإجلال له، وبهذا يكون قد أدى الأغاخاني الحجَ بزعمهم، ويقولون مستنكرين حج المسلمين لبيت الله الحرام : ما الأفضل : تحج إلى حجارة لا تعقل أم تزور إمامًا إنسانًا حيًّا معلمًا ؟!

وكما هو واضح فتلك أفكار وعقائد لا يقبلها عقل ولا منطق، ولا يستطيع إنسان أيا كان فكره أن يستوعب مثل هذه الخرافات، التي لا نجد لها قاعدةً أو أساسًا يمكن عليه إن نخرج بحكم صحيح يمكن الحوار حوله.

[1]- انظر أربع رسائل إسماعيلية لعارف تامر ص (٧٠) .

١٢- البُهرة:

البُهرة هي الوسط من كل شيء، أو الوسط من الطريق، وهو في الأصل اسم لقبيلة من اليمن، وهي من الحركات التي نجد لها حضورًا ملموسًا في عصرنا الحاضر.

والبهرة فرقة باطنية، وهم إسماعيلية مستعلية، يعترفون بالإمام المستعلي ومن بعده الآمر ثم ابنه الطيب، ولذا يُسمون بالطيبية، وهم إسماعيلية الهند واليمن، تركوا السياسة، وعملوا بتجارة البهارات، ووصلوا إلي الهند، وانتشر فكرهم الشيعي فيها وكذلك في بنجلاديش وباكستان، واختلط بهم الهندوس الذين أسلموا وعُرفوا بالبهرة.

والبهرة لفظ هندي قديم بمعنى التاجر في اللغة الكجراتية الهندية، ويطلق عليهم رجل الشارع اليمني اسم المكارمة، لكنهم في الأصل داؤودين وهم أبناء شرقي حراز، أما من يطلق عليهم المكارمة فهم يقطنون غربي حراز كالمزانعة وكاهل وشبام واسمهم السليمانيون، وهم المكارمة لكن داعيهم ليس محمد برهان الدين بل اسمه سليمان، وهو يقطن في نجران بالمملكة العربية السعودية.

والبهرة أصلهم فاطمي، خرجوا من مصر والدولة الفاطمية قائمة، وعند زوالها من مصر واغتيال الخليفة العشرين (العامر بالله) ادعى قبل موته التنبؤ ببداية مرحلة من الفوضى، وأن استمرار دعوته لابد أن يكون في الستر والخفاء، وقد ورِث عنه ابنه الأوسط (الطيِّب) الإمامة، وهاجر مع أتباعه إلى اليمن، وقد تَسلسل الدعاة في اليمن أربعة تقريبًا، ثم نَقلُوا مركز الدعوة إلى الهند.

ويُحاول البهرة أن يكون طراز حياتهم فاطميًّا، فقد كانوا أولاً في المدينة إلى أيام جعفر الصادق، ثم انتقلوا إلى عدة مراكز وأرادوا أن يقيموا دولة، فأقاموها أولاً في (أبكجان) بالجزائر، ثم بنوا عاصمتهم (المهدية) في تونس، واختاروا (المنصورية) عاصمة لهم، ثم القاهرة.

وقد تم ذلك في عهد أربعة أئمة: المهدي بالله، القائم بأمر الله، المنصور بالله، ثم المعز لدين الله الذي نقل العاصمة إلى القاهرة، وبعده جاء العزيز بالله، والحاكم، والظاهر، والمستنصر، والمستعلي، والآمر بأحكام الله، والأخير هو الإمام العشرون في عداد الأئمة الفاطميين بعد علي بن أبي طالب، وابنه (الطيِّب) هو الحادي والعشرون، والإمام الآمر هو الذي أمر بحمل ابنه الإمام وإبعاده عن القاهرة إلى بقعة أَخفَوها عن الناس، ثم أقاموا لهم في اليمن نائبًا.

فالفاطميون يعتقدون أن الأئمة من نسل الإمام الطيِّب، وأن النواب والدعاة تسلسلوا من نسله إلى وقتنا هذا، فوجود الداعي يدل على وجود الإمام، وسوف يأتي يوم يظهر فيه الإمام.

يقول الأمير الدكتور يوسف نجم الدين: نحن نختلف مع الاثني عشرية، فالذي اختفى عندهم هو الإمام الثاني عشر، والذي سيظهر بشخصه يومًا ما، أما نحن فنقول: إن الذي اختفى هو (الطيب)، وحين انتهى عمره الطبيعي خلفه ابنه إمامًا، وهكذا فنحن لا نعتقد أن الإمام يعيش فوق عمره الطبيعي.

وسلاطين البهرة هم النواب، ورتبهم الدينية هي رتبة الداعي المطلق، واشتُهروا بالسلاطين في اليمن والهند، وهم دون الأئمة رتبة، والعصمة للإمام ومن ينوب عنه من الدعاة حتى لا يخرج عن المذهب.

وقد نشطت الدعوة في اليمن منذ أواخر القرن الحادي عشر؛ حيث كانت مقرا لداعيهم، وانتشرت عن طريق التجارة في شرقي أفريقيا وغربي الهند، وهم مشهورون بمزاولة التجارة والثراء العظيم، ولابد أن يدفع كل بالغ مبلغا من المال للجماعتين على دفعتين في العام يتناسب مع ثروته وأهمية المناسبة، ويذهب جزء من المبالغ إلى خزينة السلطان، ويحتفظ مندوبوه المعروفون بالعمّال في الأقاليم بالباقي، ويحصل كل منهم على مرتب ثابت ومقر لإقامته بالمجان، فضلاً عن مكافأة من خزينة المجلس للطائفة، ولهذا يطمع الكثيرون في هذه المناصب.

عقيدتهم:

هم يؤمنون بالله وبالرسول، ويصلون ويحجون ويزكون، ويصومون مثلهم مثل أي مسلم، لكن الملاحظ أنهم يؤدون عباداتهم بكل إخلاص، ويختلف معهم الآخرون منذ اختلاف المسلمين بعد وفاة الرسول، فالغالبية العظمى اتبع أبا بكر، والذي قال عنها عمر: إنها بيعة فلته وقى الله الناس شرها، فمن عاد الي مثلها فاقتلوه.

وهذا قول لا أصل له بتاتا، ظهر لاحقا في العصر الحديث كما ظهر أن هناك مجموعة اتبعت عليا بن أبي طالب الذي نص عليه الرسول بتولي الخلافة بحديث: (من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم انصر من نصره واخذل من خذله)، وهو حديث صحيح لا يدل عليه هذه المجموعة هي أساس الفاطميين أو الإسماعيلين وبالذات الفرقة السليمانية التي لم تبدل ولم تحرف، تعبد الله كما أمرها على لسان رسوله الكريم، ومن يعمل غير ذلك، ومن يقول غير ذلك، فلعنة الله عليه عدد ما حج مسلم وصام واعتمر.

تلك هي حركات فرقة الإسماعيلية، وقد رأينا كيف تشعبت، وأخذ الكثير منها اتجاها آخر عن المبادئ والأصول التي قامت عليها الفرقة في دعوتها الأولى، هذا مع وجود حركات أخرى تختلف في المسمى لكن جوهرها واحد مثل: (الغالية – الكسيانية – الراوندية –

البطحية – الجارودية – السبابية – السبئية – المفضلية – السريعية – البزيغية – الكاملية – المغيرية – الجناحية البيانية – المنصورية – الغمامية – الإمامية – التفويضية – الخطائية – المعمرية – الغرابية – الذبابية – الذمية – الإسحاقية – العلبانية – الرزاميةالمقنعية – الحسنية – النفسية – الحكمية – السالمية – الشيطانية – الزرارية – البدائية – المفوضة – اليونسية – الباقرية – الحاضرية – الناووسية – العمارية – المباركية – الشمطية - الخلفية – البرقعية – الجنابية).

وبعد فلا يمكن لأي مسلم يحب الله ورسوله أن يحكم على هذه الفرق بحركاتها المختلفة بالإسلام؛ فقد رأينا مدى الكفر والضلال بل الهوس العقلي الذي وصلوا إليه، ولا يمكن هنا أن ننكر أن للسياسة والشهرة والبحث عن المناصب والمكانة العالية بين الناس دورًا أساسيًا في ظهور تلك الحركات، ودليل ذلك هذا الخلاف الواسع الذي ظهر بين حركات الإسماعيلية مع مرور الوقت، حيث اختلفت الأهداف والغايات، فلم يكن الخلاف سياسيًا فقط بل وجدناه في العقيدة التي قامت عليها الفرقة في أول أمرها،ولكن الخطير في الأمر أنه بعد انتشار الفضائيات أخذت بعض هذه الفرق تنشر دعوتها عبر منابر إعلامية، تسعى إلى جذب أكبر عدد من المشاهدين خاصة في البلاد العربية، التي لم تكن تعلم عن هذه الفرق إلا في بطون الكتب.

ولذا أناشد المؤسسات الدينية، وعلى رأسها الأزهر الشريف، أن يتصدى بمنابر إعلامية مضادة، وبلغات مختلفة تشرح فساد هذه العقائد قبل أن ينجرف خلفها ضعاف الإيمان، حمى الله الإسلام والمجتمع المسلم من ضلال هذه الفرق.

١٣- المرجئة:

المرجئة من الفرق التي نشأت عقب ذاك الخلاف الذي حدث بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما - وقد رأينا من قبل في بداية الكتاب كيف انقسم أتباع علي - رضي الله عنه - بسبب قبوله التحكيم إلى خوارج وشيعة، وذهب الخوارج إلى تكفير عليّ ومعاوية والقائلين بالتحكيم، والشيعة منهم من يقول بكفر أبي بكر وعمر وعثمان ومن ناصرهم، وكلاهما يكفر الأمويين ويلعنهم ويرى أنهم مبطلون.

كان هذا سبباً في ظهور جماعة كرهوا هذا النزاع وسلكوا طريقاً خاصاً حتى تنجلي الفكرة، فقالوا بإيمان الجميع، وإن كان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً، وحيث أننا لا نستطيع تعيين المصيب والمخطئ فلنرجئ أمرهم إلى الله، لأنهم جميعاً يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وسميت هذه الجماعة بالمرجئة.

ثم تدرج بحثهم في أمور دينية، فعرفوا الإيمان بأنه معرفة الله ورسوله، ثم غالت هذه الطائفة، وقالت: الإيمان: الاعتقاد بالقلب، والعمل لا أثر له مطلقاً، حتى قالوا العبارة المشهورة لهم: " لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة"، وقد ذابت هذه الفرقة بعد العصر الأموي.

وبالمقارنة بينها وبين الفرق السابقة نرى فرقة المرجئة بعيدة عن التطرف إلى حد ما؛ حيث لم تتجاوز في أمور العقيدة، أو تأويل النصوص بحسب ما يخدم هواها.

١٤- القدرية:

تعد القدرية من أوائل الفرق الإسلامية التي خالفت النهج الإسلامي الصحيح، وقد ظهرت في عهد خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - واول من أسسها "غيلان القدري"، وقد قتله الخليفة هشام بن عبد الملك بصلبه على أبواب الشام.

ومن المعلوم أن بلاد العراق كانت تعج بالكثير من الأعراق والديانات المختلفة؛ فكانت البصرة بحرًا يموج بالآراء والنحل، وقد سمع معبد بن عبدالله الجهني، وكان ممن يجالس الحسن البصري، مَن يتعللون بالقدر، فقام بالرد عليهم نافيًا كون القدر سالبًا للاختيار، وتطرف في الدفاع حتى قال قولته المشهورة: "لا قدر والأمر أنف"، ولما بلغ هذا ابن عمر تبرأ منه ومن أصحابه.

وسُمي أصحاب هذا الرأي بالقدرية، وأساس عقيدتهم إنكار قدر الله، والمغالاة في إثبات القدرة للإنسان، وأنه حر الإرادة في أعماله، كما كان من مبادئهم القول بخلق القرآن، وقد ذابت القدرية كغيرها من المذاهب، ولم يعد لها وجود مستقل.

١٥- المعتزلة:

ونقف الآن عند فرقة المعتزلة، والتي أراها من أكثر الفرق التي تركت أثراً ملموسا عبر القرون التي تلتها خاصة في عصرنا الحاضر؛ حيث رأينا البعض يتخذ من العقل وحده وسيلة من أجل الحكم على العقائد الغيبية، وهذه الفرقة قد ذاع صيتها، وكثر أتباعها من الخلفاء والعامة إبان الخلافة الأموية حيث إن اسمها يدل على سبب نشأتها ألا وهى المعتزلة، وهي فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في البصرة أواخر العصر الأموي، وقد ازدهرت في العصر العباسي.

وقد نشأت هذه الفرقة بعد ذاك الموقف الذي حدث بين واصل بن عطاء وشيخه الحسن البصري في مجلسه العلمي في الحكم على مرتكب الكبيرة، وكان الحكم أنه مؤمن فاسق، وتقول الرواية أن واصل بن عطاء لم ترقه هذه العبارة وقال: هو في منزلة بين منزلتين، أي لا مؤمن ولا كافر.

وبسبب هذه الإجابة اعتزل مجلس الحسن البصري وكوّن لنفسه حلقة راسية وفق ما يفهم، ويقال حين ذاك أن الحسن البصري أطلق عبارة "اعتزلنا واصل".

اعتمدت المعتزلة على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على النقل، وقالوا بأنّ العقل والفطرة السليمة قادران على تمييز الحلال من الحرام بشكل تلقائي.

ومن أشهر المعتزلة الجاحظ، والخليفة المأمون، ونجم الدين الرازي، وابن الراوندي الذي هاجمهم بعد أن فارقهم بكتاباته التي فسرت أحيانا على أنها إلحادية ورافضة للتدين بشكل عام، وإن كان هذا موضع سجال فكري إلى اليوم.

كما كان تأكيد المعتزلة على التوحيد وعلى العدل الاجتماعي أعطاهم أهمية كبرى لدى الناس في عصرٍ كثرت فيه المظالم الاجتماعية، وكثر فيه القول بتشبيه وتجسيم الذات الإلهية.

يعتقد أن أول ظهور للمعتزلة كان في البصرة، ثم انتشرت أفكارهم في مختلف مناطق الدولة الإسلامية: كخراسان، وترمذ، واليمن، والجزيرة العربية، والكوفة، وأرمينيا، إضافة إلى بغداد.

انطوى تراث المعتزلة لقرون، ولم يعرف عنه سوى من كتابات آخرين سواء من أشاروا إليهم عابرا أو من عارضوهم، إلى أن اكتشف مصادفة في اليمن قبل بضعة عقود أهم كتاب في مذهب الاعتزال وهو " المغني في أبواب التوحيد والعدل" للقاضي عبد الجبار.

عقائدهم:

بدأت المعتزلة بفكرة أو بعقيدة واحدة، ثم تطور خلافها فيما بعد، ولم يقف عند حدود تلك المسألة، بل تجاوزها ليشكل منظومة من العقائد والأفكار، والتي في مقدمتها الأصول الخمسة الشهيرة التي لا يعد معتزليا من لم يقل بها، ونبتدئ بذكر الأصول الخمسة:

١- التوحيد: ويعنون به إثبات وحدانية الله ونفي المِثل عنه، وأدرجوا تحته نفي صفات الله، فهم لا يصفون الله إلا بالسلوب، فيقولون عن الله: لا جوهر ولا عرض، ولا طويل ولا عريض، ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة، ولا بذي حرارة ولا برودة.. إلخ، أما الصفات الثبوتية كالعلم والقدرة فينفونها عن الله تحت حجة أن في إثباتها إثبات لقدمها، وإثبات قدمها إثبات لقديم غير الله، قالوا: ولو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الألوهية، فكان التوحيد عندهم مقتضيا نفي الصفات.

٢- العدل: ويعنون به قياس أحكام الله على ما يقتضيه العقل والحكمة، وبناء على ذلك نفوا أمورا وأوجبوا أخرى، فنفوا أن يكون الله خالقا لأفعال عباده، وقالوا: إن العباد هم الخالقون لأفعال أنفسهم إن خيرا وإن شرا، قال أبو محمد بن حزم:" قالت المعتزلة بأسرها حاشا ضرار بن عبد الله الغطفاني الكوفي ومن وافقه كحفص الفرد وكلثوم وأصحابه: إن جميع أفعال العباد من حركاتهم وسكونهم في أقوالهم وأفعالهم وعقودهم لم يخلقها الله عز وجل ".[١]

وأوجبوا على الخالق الله فعل الأصلح لعباده، قال الشهرستاني:" اتفقوا - أي المعتزلة - على أن الله لا يفعل إلا الصلاح والخير، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد،

[١]- الفصل في الملل والأهواء والنحل ج (٤ / ١٤٦) .

وأما الأصلح ففي وجوبه عندهم خلاف، وسموا هذا النمط عدلا "، وقالوا أيضا بأن العقل مستقل بالتحسين والتقبيح، فما حسنه العقل كان حسنا، وما قبحه كان قبيحا، وأوجبوا الثواب على فعل ما استحسنه العقل، والعقاب على فعل ما استقبحه. [1]

٣- المنزلة بين المنزلتين: وهذا الأصل يوضح حكم الفاسق في الدنيا عند المعتزلة، وهي المسألة التي اختلف فيها واصل بن عطاء مع الحسن البصري، إذ يعتقد المعتزلة أنّ الفاسق في الدنيا لا يسمى مؤمنا بوجه من الوجوه، ولا يسمى كافرا بل هو في منزلة بين هاتين المنزلتين، فإن تاب رجع إلى إيمانه، وإن مات مصرًا على فسقه كان من المخلدين في عذاب جهنم.

٤- الوعد والوعيد: والمقصود به إنفاذ الوعيد في الآخرة على أصحاب الكبائر، وأن الله لا يقبل فيهم شفاعة، ولا يخرج أحدا منهم من النار، فهم كفار خارجون عن الملة مخلدون في نار جهنم، قال الشهرستاني: " واتفقوا - أي المعتزلة - على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار، وسموا هذا النمط وعدا ووعيدا". [2]

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهذا الأصل يوضح موقف المعتزلة من أصحاب الكبائر سواء أكانوا حكاما أم محكومين، قال الإمام الأشعري في المقالات:" وأجمعت المعتزلة إلا الأصم على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مع الإمكان والقدرة باللسان واليد والسيف كيف قدروا على ذلك"، فهم يرون قتال أئمة الجور لمجرد فسقهم، ووجوب الخروج عليهم عند القدرة على ذلك، وغلبة الظن بحصول الغلبة وإزالة المنكر.

---

[1]- الملل والنحل للشهرستاني (١ / ٤٥) .
[2]- السابق .

هذه هي أصول المعتزلة الخمسة التي اتفقوا عليها، وهناك عقائد أخرى للمعتزلة منها ما هو محل اتفاق بينهم، ومنها ما اختلفوا فيه، فمن تلك العقائد:

٦- نفيهم رؤية الله عز وجل: حيث أجمعت المعتزلة على أن الله لا يرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة، قالوا لأن في إثبات الرؤية إثبات الجهة لله، وهو منزه عن الجهة والمكان، وتأولوا قول القرآن:" وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ " [١]، أي منتظرة .

٧- قولهم بأن القرآن مخلوق: وقالوا إن الله كلم موسى بكلام أحدثه في الشجرة.

٨ - نفيهم علو الله: وتأولوا الاستواء في قول القرآن : " الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ " [٢] ، بالاستيلاء .

٩- نفيهم شفاعة النبي لأهل الكبائر من أمته، قال الإمام الأشعري في المقالات: " واختلفوا في شفاعة رسول الله هل هي لأهل الكبائر فأنكرت المعتزلة ذلك وقالت بإبطاله" [٣].

١٠- نفيهم كرامات الأولياء، قالوا لو ثبتت كرامات الأولياء لاشتبه الولي بالنبي

تلك هي بإيجاز ما روته المصادر عن فرقة المعتزلة، والحق أنه من الظلم أن نصدر عليهم حكماً يوازي الحكم الذي أصدرناه على الخوارج أو الشيعة بحركاتها المختلفة، وإنما يكفي القول بفساد معتقدهم دون أن نخرجهم عن ملة الإسلام.

---

[١]- سورة القيامة الآيات (٢٢ / ٣٢) .
[٢]- سورة طه آية (٥) .
[٣]- مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين ، اعتنى بتصحيحه هلموت ريتر (١ / ٢٧٨) .

١٥- الجبرية (الجهمية):

من الفرق الإسلامية التي ترجع نسبتها إلى جهم بن صفوان وهو من خراسان ومن الموالي الذين أقاموا بالكوفة، وقد تكون منه ومن أتباعه فرقة الجبرية، القائلين بأن الإنسان مجبور كالريشة في الهواء.

وهم أصناف فهناك الجبرية الخالصة التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا، والجبرية المتوسطة التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة، فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرًا ما في العقل وسمي ذلك كسبا فليس بجبري، والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة في الإبداع والأحداث استقلالا جبريا، وقد عدوا النجارية والضرارية والكلامية من الصفاتية والأشعرية جبرية.

عقائدهم:

القول بنفي صفات الله تعالى حتى لا يشبه الناس، وخلق القرآن، وإنكار رؤية الله في الآخرة، وفناء الجنة والنار بعد نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار، وقد نهض كثير من العلماء للرد عليهم لأمرين:

الأول: مسألة الجبر؛ لأنها تدعو إلى التعطيل وترك العمل والركون إلى القدر، لأن الإنسان لا عمل له ولا قدرة.

الآخر: مسألة المغالاة في تأويل الآيات التي تثبت صفات الله، وفي هذا التأويل خطر على القرآن وتفهم معانيه.

١٦- أهل السنة والجماعة:

نقف الآن مع مَن ننتسب إليهم، ونشرف بالسير على نهجهم، ونتمسك دوماً بصحة أقوالهم، إنهم أهل السنة الذين تصدوا للدفاع عن العقيدة الصحيحة، وقاموا بحمايتها من كل فكرٍ متطرفٍ يتنافى مع ما ورد ذكره في الكتاب والسنة النبوية الصحيحة.

فأهل السنة هم أكبر طائفة إسلامية، ومصادر التشريع السني هي القرآن الكريم وسنة نبي الإسلام محمد– صلى الله عليه وسلم - المتمثلة في الأحاديث النبوية المنسوبة إليه، ويأخذون الفقه عن الأئمة الأربعة، ويقرون بصحة خلافة الخلفاء الأربعة الأوائل: أبو بكر،وعمر،وعثمان،وعلي – رضوان الله عليهم - ويؤمنون بعدالة كل الصحابة.

وتعود نشأة أهل السنة إلى بداية الإسلام، وخاصة بعد وفاة النبي محمد - صلى الله عليه و سلم - حيث اجتهد صحابته وأتباعه والمسلمين عامة في تطبيق أقواله وأفعاله.

ومع انتشار الإسلام وتوسعه وتعرضه للكثير من القضايا الجديدة الدينية والتشريعية فضلا عن ظهور بعض الفرق والحركات التي حملت فكراً وعقيدةً تتنافى مع العقيدة الصحيحة، لأجل ذلك كانت هناك حاجة ملحة للخروج باجتهادات لهذه القضايا الفقهية المستجدة، وتلبية حاجات الناس، والإجابة عن تساؤلاتهم، ومن هنا نشأت جماعة من المتفقهين المتبحرين في الدين، ومن هؤلاء فرقة الأشاعرة.

١٧- الأشاعرة:

تعد الأشاعرة من مدارس أهل السنة والجماعة، وترجع نسبتها الى أبي الحسن الأشعري الذي أسس المدرسة الأشعرية إلى تاريخ اهتمام أئمة السلف بعلم الكلام، واستخدامه في مواجهة الفرق التي اعتبروها مخالفة، ويعدّون الإمام أبو حنيفة النعمان هو المؤسس الحقيقي للمنهج الذي يسيرون عليه، ومن بعده أئمة آخرون: كالشافعي، وابن كلاّب، والبخاري.

وكان التأطير الكبير لمنهج الأشاعرة في مواجهة المعتزلة على يد أبي الحسن الأشعري الذي يعد أبرز متكلمي أهل الحديث، حيث إنّ أبا الحسن الأشعري كان معتزليا يأخذ المذهب عن الجبّائي، وما لبث أنْ عارض شيخه، ورجع لمنهج أئمة السلف ومنهم أبو حنيفة النعمان والشافعي وغيرهما من متكلمي أهل الحديث كعبد الله بن كلاّب، وأبي العباس القلانسي، والحارث بن أسد المحاسبي في الانتصار بالأساليب الكلامية لعقائد السلف أهل السنة، خصوصا في المسائل المتعلقة بخلق القرآن، والقضاء والقدر.

وورد أنّ أبا الحسن الأشعري اعتزل الناس مدة خمسة عشر يوما، وتفرغ في بيته للبحث والمطالعة، ثم خرج إلى الناس في المسجد الجامع، وأخبرهم أنه انخلع مما كان يعتقده المعتزلة، كما ينخلع من ثوبه، ثم خلع ثوبا كان عليه ورمى بكتبه الجديدة للناس، فكسب بذلك تأييد العديد من الناس، وكثر أنصاره ومؤيدوه من حكام وعلماء، ولقّبه بعض أهل عصره بإمام السنة والجماعة.

عقائد الأشاعرة:

الأشعرية مدرسة سنية، تكاد تكون مطابقة لعقائد المدارس الأخرى المنتسبة للسنة إلا في مسائل قليلة بسبب اختلاف منهج التلقي والاستدلال، واتبعت الأشعرية منهجًا كلاميًا في الحالات.

استدل الأشعري على العقائد بالنقل والعقل، فيثبت ما ورد في الكتاب والسنة من أوصاف الله، والاعتقاد برسله، واليوم الآخر، والملائكة، والحساب، والعقاب والثواب، ويستدل بالأدلة العقلية والبراهين المنطقية على صدق ما جاء في الكتاب والسنة بعد أن أوجب التصديق بها كما هي نقلاً.

فهو لا يتخذ من العقل حَكَما على النصوص ليؤولها أو يمضي ظاهرها، بل يتخذ العقل خادما لظواهر النصوص يؤيدها، وقد استعان في سبيل ذلك بقضايا فلسفية ومسائل عقلية، خاض فيها الفلاسفة وسلكها المناطقة، والسبب في سلوكه ذلك المسلك العقلي:

أنه كان منتسبا إلى المعتزلة، فاختار طريقتهم في الاستدلال لعقائد القرآن، وهو مسلك المناطقة والفلاسفة، ولم يسلك طريقتهم في فهم نصوص القرآن والحديث.

كما أنه تصدّى للردّ على المعتزلة ومعارضتهم فتبع طريقتهم في الاستدلال؛ ليقطع حجتهم ويفحمهم بما في أيديهم، ويرد حجتهم عليهم.

وأنه تصدّى للردّ على الفلاسفة، والقرامطة، والباطنية وغيرهم، وكثير هؤلاء لا يقنع إلاّ بالأقيسة المنطقية، ومنهم فلاسفة لا يقطعهم إلا دليل العقل.

قال تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى: " اعلم أنّ أبا الحسن لم يبدع رأياً ولم ينشئ مذهباً، وإنما هو مقرّر لمذاهب السلف، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطاقاً وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدي به فى ذلك السالك سبيله فى الدلائل يسمى أشعرياً" . ([1])

[1]- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي (٣ / ٣٦٥) .

١٨- الماتريدية:

ومن الفرق التي تنتسب إلى أهل السنة والجماعة، وتعد مدرسة فكرية إسلامية، تمثل أتباع أبي منصور الماتريدي، وهي إحدى فرق الكلام ضمن الإسلام السني التقليدي، ولا تختلف بشكل عام عن المدرسة الأشعرية إلا في بعض القضايا البسيطة، وأحد أشهر الكتب الماتريدية هو متن العقيدة المشهور بمتن العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي الحنفي، ويتبع الكثير من علماء الماتريدية المذهب الفقهي الحنفي في حين يغلب على الأشاعرة المذهب الفقهي الشافعي والمالكي.

١٩- الظاهرية:

تعد الظاهرية من المدارس الفكرية التي تنتمي إلى أهل السنة، وترجع نسبتها إلى داوود بن علي الظاهري في منتصف القرن الثالث الهجري، وقد تزعمهم وأظهر شأنهم وأمرهم الإمام علي بن حزم الأندلسي، وتعد بعض المصادر أن الظاهرية هو المذهب السني الخامس.

وتقوم المدرسة الظاهرية على المناداة بالتمسك وفق رؤيتها بالقرآن الذي هو كلام الله، وسنة الرسول، وإجماع الصحابة، وطرح كل ما عدا ذلك من الأمور التي تعتبرها ظنية (كالرأي والقياس والاستحسان ومصالح مرسلة وسد الذرائع وشرع من قبلنا...).

والمُلاحظ في أغلب أعمدة المذهب، كالإمام علي بن حزم الأندلسي وغيره أنهم يثبتون ذلك في كتبهم الأصولية، ومع ذلك يستدلون بما يشبه القياس عند الفقهاء، لكنهم لا يعدون ذلك قياسًا، وإنما دلالة من النص.

فالظاهرية تسعى لتقرير مراد الله من العباد في اتباع البراهين، وهي الأدلة الثابتة من كتاب الله والسنة وإجماع الصحابة، فإثبات القياس بالنص ليس كإثبات القياس بالمعنى قطعا، بحسب وجهة نظرهم، فهو دلالة معنى النص، ومما يتميز به الظاهرية الاهتمام الشديد بالنصوص حرفيا دون الاستعانة بالأدلة العقلية.

٢٠- الأثرية:

أهل الحديث أو أهل الأثر هي إحدى المدارس السنية الإسلامية التي تميزت بالاهتمام بالحديث النبوي، والتي تبلورت في صدر الإسلام على يد علماء الحديث.

ولما سئل الإمام أحمد بن حنبل عن الجماعة قال: " إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم " .([1])

ويقول محمد عبد الهادي المصري: هم الذين يعتنون بحديث محمد رواية ودراية، باذلين جهدهم على مدارسة أحاديث النبي وروايتها واتباع ما فيها علماً وعملاً، ملتزمين بالسنة مجانبين للبدعة، متميزين عن أهل الأهواء الذين يقدمون مقالات الضلالة على أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم ([2]).

والتسمية بأهل الحديث أو أهل السنة والجماعة نشأت على يد الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، وذلك حينما ظهرت فتنة خلق القرآن، فثبت فيها الإمام أحمد وأتباعه أصحاب الحديث، فارتبط المصطلحان أهل السنة والجماعة وأهل الحديث.

وأحمد بن حنبل هو إمام معتمد ومرجع أساسي عند كل أهل السنة والجماعة باختلاف مشاربهم، سواء أكانوا حنابلة أثرية أم مالكية وشافعية أشاعرة أم حنفية ماتردية، لكن هناك اختلاف بين المنتسبين لأهل السنة حول تفسير توجهات ابن حنبل، واختلافات أخرى حول صحة بعض الأقوال المنسوبة إليه، فبينما يرى الكثير من جماعة السلفية أن الإمام أحمد بن حنبل هو المؤسس الحقيقي لمنهجهم، وأن الإمام أحمد على خلاف حاد مع متكلمي أهل الحديث، وأن السلفية هم الاستمرار التاريخي لمنهج إمام أهل الحديث أحمد بن حنبل، في المقابل يرى بقية أهل السنة والجماعة وأغلبهم من الأشاعرة

---

[1]- فتح الباري (١٣ / ٣٥٩) .

[2]- ينظر محمد عبد الهادي المصري / أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى ص (٣٠٧) .

والماتردية وجانب من الحنابلة بعدم صحة الكثير من النقولات التي رُويت عن الإمام أحمد بن حنبل، والتي اعتمد عليها السلفيون في تحديد معالم منهجهم، كما يرى هؤلاء أن نشأة أهل الحديث مرتبطة بنشأة أهل السنة، وأنّ المصطلحين استخدما في أحيان كثيرة للدلالة على العقيدة الجامعة للأثرية والأشاعرة والماتردية، ويرون أنّ الخلاف الذي حدث بين ابن حنبل وبعض المتكلمين من أهل السنة، هو خلاف لا ينقص من صحة معتقد أحدهما.

وبعد فتلك هي مجموعة من الفرق الإسلامية التي ظهرت عقب وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – فمنها من اندثر، ومنها من بقي، ومنها من انطوى على نفسه، ومنها من سعى إلى نشر دعوته، وعلى كل حال فمعظمهم على ضلال؛ حيث أفسدوا في العقيدة، وبدلوا على حسب أهوائهم في الشريعة ، وما تقتضيه مصالحهم، وما ترتضيه منافعهم.

والذي أراه أنّ غالبية تلك الفرق لا يصح نسبيتها إلى الإسلام، فهو منهم براء؛ حيث إن هناك ثوابت وعقائد، لا ينبغي للمسلم أنْ يحيد عنها مهما اختلفت الظروف والعصور، لكن هؤلاء بدلوا وأفسدوا وحرفوا بما لا يدع مجالا للشك، والذي أراه أيضا أنّ الشيعة بكل فرقها هم الأشد خطرًا على عقيدتنا الصحيحة؛ فهم يضمرون بداخلهم غلًا وعداوةً لأهل السنة والجماعة، وربما أدى العامل السياسي والتاريخي والعرقي دورا بارزا في ترسيخ تلك الكراهية التي نلمسها على أرض الواقع في عصرنا الحاضر، وذلك من خلال ما يحدث في إيران والعراق واليمن ولبنان.

الفصل الثاني

الجماعات الإسلامية

مع بداية القرن الماضي أخذ العالم الإسلامي يشهد مجموعة من المتغيرات، خاصة بعد دخول الاستعمار وظهور ما يعرف بالأحزاب السياسية والجمعيات الأهلية، وعلى أثر كل ذلك ظهر ما يعرف بمفهوم الجماعات الإسلامية، وهي بالطبع تختلف كل الاختلاف عن مفهوم الفرق الذي تناولناه في الفصل الأول، والفرق واضح للعيان؛ حيث إن الفرق كان اختلافهم مبنيًا على أساس العقيدة، أما هذه الجماعات فخلافهم مبني على أساسٍ سياسيّ مع إقرارنا بنسبة هذه الجماعات إلى أهل السنة والجماعة؛ حيث لم نرَ منهم تباينًا في العقيدة أو اختلافًا في تأويل النصوص، لكن كان الاختلاف في كيفية نشر الدعوة، ودور الدين في الحياة السياسية من عدمه، فبعضهم قد حمل السلاح، وبعضهم سلك طريقا آخر.

لكن على كل حال تركت هذه الجماعات أثرًا سيئًا تعاني منه المجتمعات الإسلامية في عصرنا الحاضر؛ حيث إن معظمهم قد تحول إلى أداة طيّعة في يد أعداء الإسلام، يضغطون من خلالها لتنفيذ مخططاتهم في نهب ثروات تلك البلاد، وذرع الفتنة والشقاق بين شعوبها.

وفي الصفحات التالية سنستعرض هذه الجماعات بعيدًا عن التعصب أو المبالغة بتبيان ما لهم وما عليهم وفقا للوقائع التي رأيناها وعايشناها؛ حيث إنها قد ظهرت في عصرٍ تشيع فيه العولمة، ووسائل التكنولوجيا التي جعلت العالم مفتوحاً يتواصل فيه القاصي مع الداني، وتتفاعل فيه الأفكار، وتكثر المحاورات عبر البرامج المختلفة سواء بالتلفاز أو الإنترنت، كل هذا نتج عنه صراعٌ فكريٌّ شغل أذهان الكثيرين، وأحدث لغطًا ترتب عليه نوعٌ من الفُرقة التي أضعفت معظم البلاد الإسلامية خاصة في الوطن العربي، فتخلفت عن ركب التقدم، سواء من ناحية الاقتصاد أو التكنولوجيا، وأصبحت شعوبها تعيش حالة متدنية من الفقر والتخلف.

١- السلفية:

هذه جماعة التي أخذ اسمها يتردد في السنوات الماضية على جميع وسائل الإعلام، خاصة بعد أنْ أصبح لها حزبٌ سياسيٌّ في مصر يُسمى حزب النور، والحقيقة أنّ هذه الجماعة تنتشر في شتى بقاع العالم الإسلامي بما لها من نهجٍ صريحٍ في التمسك بالكتاب والسنة، واتباع السلف الصالح - رضوان الله عليهم - لكننا قد سمعنا لهم صوتاً ونشاطاً علي الساحة المصرية خاصة بعد ثورة ٢٥ من يناير، إنهم بالطبع السلفية تلك الجماعة التي تعتقد أنهم امتدادًا لمدرسة أهل الحديث والأثر، الذين برزوا في القرن الثالث الهجري في مواجهة المعتزلة إبان العصر العباسي تحت قيادة أحمد بن حنبل -رحمه الله - أحد أئمة السنة الأربعة، فكان المعتزلة يتخذون مناهجَ عقليةً في قراءة النصوص وتأويلها، واستمدوا أصولهم المنطقية من الحضارة الإغريقية عن طريق الترجمة والتعامل المباشر، ورأى أهل الحديث في هذه المناهج العقلية خطرًا يهدد صفاء الإسلام ونقاءه، وينذر بتفكك الأمة وانهيارها، وانتهى هذا النزاع حين تولى الخليفة المتوكل أمر الخلافة، وأطلق سراح ابن حنبل، وانتصر لمنهجه ومعتقده.

ويعتبر الكاتب حسن أبو هنية أنّ محنة ابن حنبل في فتنة خلق القرآن بأنه: «كان حاسما في بلورة وعي سلفي، عمل على بلورة موقف سلفي واضح ومتميز لأول مرة». ([1])

يقول محمد أبو زهرة: إنه في القرن الرابع الهجري ظهرت جماعة من أهل الحديث تنسب آراءها لابن حنبل في إثبات بعض صفات لله بدعوى أن الله أثبتها لنفسه في القرآن والسنة، وذلك الأخذ بظواهر النصوص ثم تفويض الكيف والوصف.([2])

---

[1]- السلفيون الفكر والممارسة – أحمد محفوظ حافظ ص (١٦) .
[2]- تاريخ المذاهب الإسلامية لـ محمد أبو زهرة ص (١٨١ – ١٨٥) .

ثم أقر هذا المنهج كمنهج رسمي للدولة العباسية في زمن الخليفة القادر بالله، بناء على منشور العقيدة القادرية الذي كتبه الخليفة وأمر بتلاوته في المساجد يوم الجمعة، وأخذ عليه خطوط العلماء والفقهاء، وبحسب ما ذكره ابن الجوزي في المنتظم فقد أقر هذا المنهج كمنهج رسمي للدولة العباسية عام ٤٣٣ هـ في زمن الخليفة القائم بأمر الله بناء على منشور العقيدة القادرية الذي كتبه الخليفة القادر. ([1]).

بعد ذلك شهدت السلفية انحسارًا ملحوظًا شعبيًا وسياسيًا بعد انقسام الفقهاء الإسلاميين وأهل الحديث إلى حنبلية وأشعرية، حتى قوي جانب الأشاعرة وتبنى بعض الأمراء مذهبهم، إلى أن ظهر ابن تيمية في القرن السابع بالتزامن مع سقوط عاصمة الدولة العباسية بغداد على أيدي التتار سنة ٦٥٦هـ، فأخذ في إحياء الفكر السلفي، وقام بشن حملة على مَن اعتبرهم أهل البدع، داعيا إلى إحياء عقيدة ومنهج السلف من أجل تحقيق النهضة.

ولقد أثارت دعوته جدلاً في الأوساط الإسلامية حينها، فاستجاب بعض العلماء وطلبة العلم لأفكاره مثل الذهبي وابن قيم الجوزية، ومن أفراد الطبقة الحاكمة مثل الأمير المملوكي سلار نائب السلطنة.

ثم شهدت السلفية انحساراً كبيراً مرة أخرى بعد ذلك، لتعاود الظهور مرة أخرى في القرن الثامن عشر الميلادي متمثلة في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شبه الجزيرة العربية، والتي واكبت عصر انحطاط وأفول نجم الدولة العثمانية وصعود الاستعمار الغربي، وبالتأكيد إننا ستكون لنا وقفة مع الوهابية لكن ما يهمنا الآن هو أن نعرف مصادر تلقي السلفيين.

[1]- المنتظم في التاريخ لابن الجوزي (٩ - ٣٠٣) .

مصادر تلقي السلفيين:

يستمد السلفيون مصادر التشريع من:

- القرآن: وهو المصدر الرئيسي للتلقي عند السلفية، ويستعينون على فهمه وتفسيره بالعلوم المساعدة على ذلك، كعلوم اللغة العربية، والعلم بالناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وبيان مكيه ومدنيه، ونحو ذلك من العلوم.

- السنة الصحيحة: والسنة عندهم هي كل ما صححه علماء الحديث عن النبي من الأقوال والأفعال والصفات الخَلْقية أو الخُلُقية والتقريرات، والسنة منها الثابت الصحيح، ومنها الضعيف، والصحة شرط لقبول الحديث والعمل به عندهم بحسب قواعد التصحيح والتضعيف، ولا يشترطون أن يكون الحديث متواتراً، بل هم يعملون بالمتواتر والآحاد على السواء.

- الإجماع: اتفاق جميع رجال الدين المجتهدين من المسلمين في عصر من العصور على حكم شرعي، فإذا اتفقوا سواء كانوا في عصر الصحابة أو بعدهم على حكمٍ من الأحكام الشرعية كان اتفاقهم هذا إجماعاً.

وهذه الأصول الثلاثة هي المصادر الرئيسية في التلقي، والسلفية لا يقرون قولاً ولا يقبلون اجتهاداً إلا بعد عرضه على تلك الأصول، ولا يخالفونها برأي ولا بعقل ولا بقياس، بل يجتهدون بآرائهم في ضوء تلك المصادر دون أن يخالفوها.

- القياس: وهو حجة عند جمهورهم سواء كان قياساً جلياً أو خفياً، وخالفت الظاهرية فأخذوا بالقياس الجلي دون الخفي.

ويعتقد السلفية ألا تعارض بين نقل صحيح وعقل صريح، وأن النقل مقدم على العقل، فلا يجوز معارضة الأدلة الصحيحة من كتاب وسنة وإجماع بحجج عقلية أو كلامية.

عقيدتهم:

التوحيد : يؤمنون بوحدانية الله وأحديته، ويؤمنون بأن الله هو رب هذا الكون وخالقه، ويؤمنون بأن لله أسماء وصفات أثبتها لنفسه في القرآن وفي سنة نبيه، فيثبتون لله كل ما أثبته لنفسه في القرآن والسنة الصحيحة من الأسماء والصفات، ويوجبون الإيمان بها كلها، وإمرارها على ظاهرها معرضين فيها عن التأويل، مجتنبين عن التشبيه، معتقدين أنّ الله لا يشبهه شيءٌ من صفاته صفاتِ الخلق، كما لا تشبه ذاتُه ذوات الخلق، كما ورد في القرآن : " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " ([1]).

وعلى هذا مضى سلف الأمة، وعلماء السنة، تلقوها جميعًا بالإيمان والقبول، وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل، ووكلوا العلم فيها إلى الله.

كما يعتقدون أيضا بأن الله وحده هو المستحق للعبادة، فلا تصرف العبادة إلا لله، وأن حقيقة التوحيد أن ترى الأمور كلها من الله رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط، فلا ترى الخير والشر إلا منه، وأن من صرف شيئاً من العبادة لغير الله متخذاً من الخلق أنداداً وشفعاءً بينه وبين الله، فيرون ذلك شرك.

[1] - سورة الشورى آية (١١) .

القدر: يؤمنون بالقدر خيره وشره، ويؤمنون به على جميع مراتبه، وهي:

- العلم: فيؤمنون أن لله علماً أزلياً أحاط بكل شيء، فالله علم ما كان، وعلم ما سيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

- الكتابة: ويؤمنون أن الله أول ما خلق، خلق القلم، فأمره أن يكتب مقادير الخلائق حتى تقوم الساعة، فكتبها القلم في اللوح المحفوظ.

- المشيئة: ويؤمنون أن لله مشيئة نافذة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يحدث شيءٌ صغير أو كبير إلا بمشيئته سبحانه، وهم يفرقون في ذلك بين المشيئة الكونية والمشيئة الشرعية؛ فما أراده الله كوناً خلقه خيراً كان أوشراً، وما أراده شرعاً أمر به عباده ودعاهم إليه، فعلوه أولم يفعلوه.

- الخلق: فما أراده الله خلقه في أجل معلوم، ومنهم من قال: إن الفرق بين القضاء والقدر هو الخلق، فإذا علم الله أمراً فكتبه وجرت به مشيئته فذلك هو القدر، حتى إذا خلقه الله فذلك هو القضاء.

الإيمان : يؤمنون بأن الإيمان قول باللسان، وإخلاص بالقلب، وعمل بالجوارح، ويزيد بزيادة الأعمال، وينقص بنقصانها، ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بموافقة السنة، وأنه لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة.

وهم متفقون على أن للإيمان أصلا وفروعا، وأن الإيمان لا يزول إلا بزوال أصله، لذا فهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب ولا معصية، إلا أن يزول أصل الإيمان، ولا يوجبون العذاب ولا الثواب لشخص معين إلا بدليل خاص.

صحابة النبي صلى الله عليه وسلم :يحبونهم ويحبون أهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وأزواجه أجمعين، ويؤمنون بفضائلهم، ومناقبهم التي ثبتت لهم في القرآن والسنة، ويؤمنون بأفضلية الخلفاء الراشدين على جميع البشر بعد الأنبياء، وأن ترتيبهم حسب الأفضلية هو: أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة، ويؤمنون أن أزواجه هن أمهات المؤمنين، وهن أزواجه في الآخرة، خصوصاً خديجة بنت خويلد وعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهن .

وهم لا يؤمنون بعصمة أحد من الصحابة بعينه، بل تجوز عليهم الذنوب، ويعتقدون بعصمة إجماعهم فقط، ويسكتون عما شجر بينهم، وأنهم فيه مجتهدون معذورون، إما مخطئون وإما مصيبون، وهم بالجملة خير البشر بعد الأنبياء، ولقد برزت هذه العقيدة كركيزة رئيسية للمنهج السلفي، وذلك في مواجهة المد الشيعي.

مفهوم البدعة وموقفهم منها: يعتقدون بأن البدعة هي: طريقة في الدين مخترَعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالسلوك على الطريقة الشرعية.

الحكم بالشريعة الإسلامية: يعتقدون بوجوب إفراد الله بالحكم والتشريع، أو ما يعرف حديثا بالإسلام السياسي، وأن أحكام الشريعة الإسلامية الواردة في الكتاب والسنة واجبة التطبيق في كل زمان ومكان حسب فهمهم لها، ويعتقدون أن من أشرك في حكمه أحداً من خلقه سواءً كان حاكماً أو زعيماً أو ذا سلطان أو مجلساً تشريعياً أو أي شكل من أشكال السلطة، فقد أشرك بالله، ولكنهم يفرقون بين من كان الأصل عنده تحكيم الشريعة ثم حاد عنها لهوى أو لغرض دنيوي، وبين من أنكر أصلاً وجوب الاحتكام إلى أحكام الشريعة الإسلامية، ومال إلى غيرها من الأحكام الوضعية.

الفقه بين الاجتهاد والتقليد: يعتقدون بأن باب الاجتهاد كان ولا يزال مفتوحاً لأهل الاجتهاد والاستنباط، على عكس بعض الفقهاء الذين زعموا أن باب الاجتهاد قد أغلق ولم يبق للمسلمين إلا التقليد.

ويشترطون للمجتهد أن يستكمل شروط الاجتهاد العلمية من معرفة القرآن وتفسيره وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وأسباب النزول، ومعرفة الحديث النبوي ومعرفة الجرح والتعديل وعلم الرجال والناسخ والمنسوخ فيه وأسباب ورود الحديث والمحكم والمتشابه والصحيح والسقيم، ومعرفة علم أصول الفقه، ومعرفة اللغة العربية نحوها وصرفها وبلاغتها، ومعرفة الواقع الذي تطبق عليه أحكام الشريعة، وأن يكون ممن آتاه الله فطنة وذكاء.

والسلفية يحاربون التعصب للمذاهب الفقهية، ويدعون لتلقي الأحكام مباشرة من الكتاب والسنة قدر المستطاع، حتى لو خالف ذلك جميع الآراء المذهبية.

كما يجيزون بأن التقليد في مواطن عدة، منها الجاهل المحض الذي لا يفهم المقصود من الآية والحديث، كذلك المسائل الاجتهادية التي ليست فيها نص من الكتاب أو السنة صحيح صريح يدل على المعنى بوضوح، فتختلف أنظار العلماء وأفهامهم للنص، وبعضهم يستدل به على قضية، والآخر يستدل به على عكس القضية، فهذه المسائل الاجتهادية الخلافية أيضاً يجوز فيها التقليد.

وهم يتبعون المذاهب الفقهية المعروفة عند أهل السنة والجماعة، ويكاد المذهب الحنبلي أن يكون مقصوراً عليهم، كما يكثر بينهم اتباع المذاهب الأخرى: الشافعي والمالكي والحنفي، كما يتبع بعضهم المذهب الظاهري.

الجهاد : يعتقدون بأن الجهاد بموجب أحكام الشريعة الإسلامية هو فريضة كفاية، قد تتعين على أهل مكان معين أو زمن معين، وأنها فريضة طلب ودفع، يقصد بها الدعوة إلى الله ونشر كلمته، كما يقصد بها الدفاع عن المقدسات الدينية، وعن النفس والعرض والمال والعقل.

علم الكلام : كذلك يؤمنون بأن علم الكلام هو علم دخيل على الإسلام، استمده أوائل المتكلمين من فلسلفة اليونان وحكمة الفرس، وأن طريقة علماء الكلام كالحديث عن الجواهر والأعراض، والحادث والقديم، هي طريقة مبتدعة لم يكن عليها سلف الأمة الصالح، ولذا فهم يؤمنون بأن علم الكلام لا يصلح لاستنباط أصول الدين ومعرفة الله، وأن النصوص الإسلامية من قرآن وسنة نبوية فيها ما يكفي من الحجج العقلية، والبراهين المنطقية لمجادلة المخالفين، ودعوتهم إلى الإسلام.

وقد ذهبوا إلى جواز استعمال علم الكلام في باب الرد على أهل الكلام، ولدفع مزاعمهم بنفس طريقتهم، وإن التزموا بطريقة السلف في عدم الاستدلال ابتداءً بالحجج الكلامية لإثبات الحقائق الشرعية، ومن هؤلاء الحافظ ابن تيمية والحافظ جمال الدين المزي، ولكن هذه الطريقة لم تلق قبولاً عند بعض السلفية الذين منعوا الخوض في علم الكلام مطلقاً مثل: الحافظ الذهبي، والمحدث الألباني.

ومما سبق يتضح أن السلفيين أصحاب عقيدة صحيحة سليمة لا يمكن لنا أن نتكلم في جانبٍ من جوانبها، وإن كان لنا بعض ملاحظات على تصرفات بعض أتباع تلك الجماعة، أي أن ملاحظتنا ليست في العقيدة نفسها، ولكن في بعض المظاهر والتصرفات التي لا تتفق مع متطلبات هذا العصر الذي يموج بالفتن والتعصب، فضلاً عن محاولة أعداء الإسلام النيل منهم مستغلين بعض مظاهر السلفية في رسم وإعطاء صور غير صحيحة لغير المسلمين، الذين لا يمتلكون معلومات صحيحة عن الإسلام .

وكذلك كان لاقتحامهم مجال السياسة أثرٌ سلبيٌّ عند معظم الناس؛ وذلك بسبب بعض التصرفات الشخصية التي صدرت من بعضهم، وبعض الآراء التي رأى فيها البعض عدم تسامح مع الآخر، فضلا عن عدم تكيّفهم مع الكثير من مستحدثات العصر، مما جعلهم لا يحظون بالكثير من التأييد والقبول، وأتحدث هنا عن أشخاص، وليس عن عقيدة التي هي بالطبع لا غبار عليها.

٢- الوهابية:

بالرغم من كون الوهابية تابعة لجماعة السلفية غير إنني أردت أن أفرد لها مبحثاً خاصاً، ومع اعترافي الصريح بفضل هذه الحركة على الإسلام والمسلمين، وأنهم قد حفظوا الدين من كل فُرقة أو فتنة أو بدعة من الممكن أن تشوه ما تركه السلف الصالح - رضوان الله عليهم - لكنني لاحظت عليهم سقطات كبيرة.

بداية يطلق مصطلح الوهابية علي تلك الحركة الإسلامية السياسية التي قامت في منطقة نجد وسط شبه الجزيرة العربية في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، الموافق للثامن عشر الميلادي على يد محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ - ١٧٩٢) ومحمد بن سعود حيث تحالفا لنشر الدعوة السلفية، وقد كانت بدايتهما في الدرعية إذ أعلن محمد بن عبد الوهاب الجهاد، فشن سلسلة من الحروب (وكانوا يسمونها بالغزوات)، صادروا فيها أموال خصومهم (وكانوا يسمونها بالغنائم)، وخسر العديد من المسلمين أرواحهم نتيجة هذه الحروب، واعتبرتهم مصادر عديدة أنهم بذلك خرجوا على الخلافة الإسلامية التي كانت تحت حكم العثمانيين، بينما اعتبرها الوهابية إقامةً لدولة التوحيد والعقيدة الصحيحة، وتطهيرًا لأمة الإسلام من الشرك، الأمر الذي جعل العديد من علماء السنة يرى في اتهام محمد عبد الوهاب ومريديه للآخرين بالشرك مواصلةً لطريقة الخوارج في الاستناد لنصوص الكتاب والسنة، التي نزلت في حق الكفار والمشركين، وتطبيقها على المسلمين، بينما يرى الوهابية أنهم هم أهل السنة الحقيقيون، وهم الفرقة الناجية الوحيدة من النار، أما من خالفهم فإمّا كافر، أو مبتدع ضال، أو لديه أخطاء في العقيدة.

ونتج عن هذه الحروب قيام الدولة السعودية الأولى، فاستطاعت أن تصل إلى دمشق شمالاً ، وعمان جنوباً.

وفي عام (١٨١٨ م) حاصرت القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا بن محمد علي باشا الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى ودمرتها، إلا إن الدولة السعودية تأسست من جديد في أوائل القرن العشرين تحت قيادة عبد العزيز بن سعود (١٩٠٢ - ١٩٥٣م) مؤسس المملكة العربية السعودية.

جاءت الدعوة الوهابية بالمنهج السلفي بهدف ما تعتبره تنقية لعقائد المسلمين، والتخلص من العادات والممارسات التعبدية التي انتشرت في بلاد الإسلام، وتراها الوهابية مخالفة لجوهر الإسلام التوحيدي مثل التوسل، والتبرك بالقبور وبالأولياء، والبدع بكافة أشكالها.

ويصفها أتباعها بأنها دعوة إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والرجوع إلى الإسلام الصافي، وهو طريقة السلف الصالح في اتباع القرآن والسنة، أي عمليا عدم الاعتماد الكلي على المذاهب الفقهية السنية الأربعة، والاعتماد المباشر على النص من القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح وإجماع العلماء، مدللين على ذلك بأقوالٍ للأئمة الأربعة .

عقيدة الوهابية:

يرى أتباع محمد بن عبد الوهاب أنّ منهجهم هو المنهج الصحيح لأهل السنة والجماعة؛ حيث اعتمدت أفكار ابن عبد الوهاب بشكل عام على إحياء فكر ابن تيمية وابن قيم الجوزية في نبذ العادات التي رآها الشيخان ملتبسة بالشرك، والتي كانت منتشرة في الأوساط المسلمة، وتنقية العقيدة الإسلامية المبنية على التوحيد الكامل لله.

أما في مجال الفقه فقد اتبعوا منهج ابن تيمية الذي سلك بشكل عام مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وخالفه في بعض المسائل منها: ما يتعلّق بباب الطلاق، ومسألة التوسل.

وبعد فيجب أن أسجل هنا موقفي، بل موقف الأزهر وعلمائه، ولعلني قد مدحت الوهابية في بعض الجوانب، لكن هذا لا يمنع أن أبدي رأي هنا وبصراحة شديدة وفقاً لما رأيناه في أحداث ومواقف، وآراء على الساحة السياسية في السنوات الأخيرة، حيث أقول: إن الوهابية ولا أقول الإمام (محمد عبد الوهاب) بل أتحدث عن بعض أتباع هذه الحركة أنهم يحضون على العنف، والإرهاب، والكراهية، وسهولة التكفير ضد كل من يخالفهم في الرأي، وتشوه بسلوكها الشائن المقاومة الإسلامية في فلسطين والعراق، وإنه من الواجب شرعاً مقاومة هذا الفكر وأتباعه بكافة السبل المتاحة.

أكد العلماء أن الوهابية كدعوة وفكر تقوم على إقصاء الآخر وتكفيره، وأنها تهدد الأمن والسلم في كافة دول العالم الإسلامي؛ لما تبثه من أفكار إرهابية وإجرامية شديدة الخطورة، قد تدفع الشباب المسلم إلى تكفير وإرهاب المجتمع والحكام لأوهى الأسباب، وأن العالم المعاصر لم يعانِ من تنظيم أو دعوة مثلما عانى من الوهابية، سواء تمثلت في القاعدة، أو التنظيمات الإسلامية الأخرى.

كما أنّ الوهابية لها موقف سلبي من المرأة والعلم، والموسيقى وجميع الفنون، ومن المسيحيين بل من أصحاب المذاهب الإسلامية الأخرى: كالشيعة والأشاعرة وغيرهم.

وهي دعوة للجاهلية، وأغلب الموروث الوهابي قائم على الإرهاب الفكري والديني، ومخاصمة الواقع والعقل، ولذا اعتبره البعض بمثابة (دين آخر) غير دين الإسلام؛ دين يدعو إلى الإرهاب والقتل باسم الله، والله منه براء، وأنّ ما يجري في العراق وأفغانستان بل وحتى السعودية راعية هذا الفكر من قتلٍ وإرهابٍ على الهوية يؤكد أننا أمام دعوة للإجرام والقتل، وليس أمام دعوة لإسلام سمح معتدل.

وبالرغم من أنّ المملكة العربية السعودية تتجه إلى منهج أكثر توسطًا واعتدالًا وتقبلا للآخر وانفتاحا غير مسبوق، وإن كان لي عليه بعض الملاحظات من تجاوزات لا تليق ببلد الحرمين الشريفين، فينبغي أن يكون للأزهر الشريف دورٌ في ذلك؛ لأنه مؤسسة الاعتدال الإسلامي قبل أن يتم اختراقه من الوهابية، ومَن يُسمون بالدعاة الجدد من السلفيين المتشددين.

إن الأزهر الشريف إذا عاد كمؤسسة تنويرية ووسطية معتدلة، فإنها تستطيع الرد بقوة على هذا الغلوّ الوهابي المنافي لروح الإسلام المحمدي المعتدل الوسيط، وأنا أعلم أنه قد يظن البعض أنّ في رأيي تجنيًا وافتراءً، لكن من يُعمل العقل ويحرك بصره وبصيرته يجد مدى الأهوال بل الكوارث التي عانينا منها في السنوات الأخيرة، خاصة من كوني أعيش في الولايات المتحدة الأمريكية، فكم واجهنا وعانينا آثار تشدد المنتمين لتلك الحركة، بسبب ما ترتب على هذا الفكر المتشدد الذي لا يدع مجالاً للعقل أن يبدي رأيه في ما يدور حولنا من أحداث وأفكار متجددة، قد يكون منها السيئ، وقد يكون منها الصحيح، ولذا كان تكرار المولى – سبحانه وتعالى - في الآيات الكريمة بالدعوة والنظر والتأمل، من ذلك قوله تعالى: " إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "([1]) ، " إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " ([2]) ، " إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "([3])

أليس في كل هذه الآيات دعوة صريحة لإعمال الفكر والعقل والنظر والتأمل، ما من شيء إلا أن المولى سبحانه وتعالى يريد أن نتواكب مع مستحدثات كل عصر؛ لنستطيع أن نقف على ما يصلح لنا وما لا يصلح، وأن نتكيف مع البيئات البعيدة عن المجتمعات الإسلامية، والتي تختلف معنا سلوكًا وعقيدةً وأفكارًا.

---

[1]- سورة الجاثية آية (١٣) .
[2]- سورة النحل آية (١٢) .
[3]- سورة الروم آية (٣٧) .

٣- القاعدة:

القاعدة هذا الاسم الذي تردد كثيراً في العقود الأخيرة حتى أصبح حديث القاصي والداني، الكبير والصغير، العالم والجاهل؛ وما ذلك إلا لما بدر منهم من أعمال مشينة، ذهب ضحيتها العديد والعديد من الأرواح البريئة، مسلمين وغير مسلمين، إنه بالطبع تنظيم القاعدة، ذاك التنظيم الذي يعد وليد الفكر الوهابي المتشدد، لكن كيف بدأ هذا التنظيم؟ وكيف كانت نشأته؟ وما أبرز نشاطاته وأعماله التي قام بها؟

أقول: بدأت نشاطات هذا التنظيم في مايو (١٩٨٦ م)، حيث أنشأ الدكتور عبد الله عزام أول معسكر لتدريب المجاهدين العرب، وأطلق عليه اسم (عرين الأسد)، ويعد عزام واحدًا من أهم الذين انخرطوا في جماعة الإخوان المسلمين، وقد كان لحسن البنا أثرٌ بالغٌ في تكوين شخصيته، وقد اتخذ عزام من رسائل البنا منهجًا لتحديد ما تقوم عليه الحركة الإسلامية.

وأثناء عمله بالتدريس في الجامعة الأردنية مارس أنشطة إخوانية فعالة من خلال خطبه التي كان يلقيها، وبعدها بدأ بتجنيد الشباب لصفوف الإخوان قبل أن يغادر إلى السعودية عام (١٩٨١ م) حيث عمل هناك.

وفي أثناء زيارته للحرم المكي التقى آنذاك بواحدٍ من أهم رجال النظام الخاص في جماعة الإخوان المسلمين وهو كمال السنانيري، والذي كان مسئولًا وقتها عن ملف الجهاد في أفغانستان، وفي أثناء اللقاء الذي جمعهما سويا طلب السنانيري من عزام أن يسافر إلى أفغانستان؛ لتمثيل الإخوان المسلمين، واستقطاب الشباب الذي يرغب في الجهاد من أي دولة عربية.

وعلى الفور وافق عزام على مطلب السنانيري، وتم انتدابه للعمل في الجامعة الإسلامية في إسلام أباد في أواخر (١٩٨١م)، ولم تكن مهمة عزام فقط أن يعمل في الجامعة وأن يمثل الإخوان هناك، بل كان مُطالَبا باستغلال الشباب المسلم في بناء كيان كبير ومؤثر، ليس في أفغانستان فقط، بل في كل بقعة من بقاع العالم.

وعندما بدأ في تنفيذ خطته في إبريل (١٩٨٦م) كان عدد الشباب الذين معه لا يتجاوز أصابع اليدين، وسرعان ما وصل عددهم إلى مائة وعشرين في إبريل (١٩٨٧م)، أي بعد تأسيس أول معسكرٍ تدريبي بعام واحد، وقد كان عزام يتابع بنفسه المعارك؛ حتى يتمكن من رؤية السلبيات والعمل على علاجها.

وبعد انسحاب السوفيت من أفغانستان برزت شخصية رجل كان حديثَ العالم في السنوات الأخيرة، ألا وهو أسامه بن لادن، الذي نجده قد اختلف مع صديقه عزام في الناحية العسكرية، فبينما تبنى ابن لادن القيام بعمليات غير عسكرية في مناطق أخرى من العالم، لكن في المقابل كان عزام يريد الاستمرار في التركيز على الحملات العسكرية.

حرب الخليج وبدء العداء مع الولايات المتحدة:

عاد أسامة بن لادن إلى المملكة العربية السعودية ووضع الغزو العراقي الكويت عام (١٩٩٠م) المملكة العربية السعودية وحكامها آل سعود في خطر؛ ففي السعودية أهم حقول النفط، وهي على مقربة من القوات العراقية في الكويت، بالإضافة لدعوة صدام حسين للاتحاد العربي الإسلامي التي يمكن أن تجمع المعارضة الداخلية.

وقد كانت القوات السعودية جيدة التسليح مقارنة بالقوات العراقية، لكنها أقل عددًا،فعرض ابن لادن خدمات مجاهديه على الملك فهد بن عبد العزيز؛ لحماية المملكة العربية السعودية من الجيش العراقي، لكن العاهل السعودي رفض عرض ابن لادن،

واختار بدلا منه السماح للقوات الأمريكية والقوات الحليفة بالانتشار على الأراضي السعودية، وهو ما أثار غضب ابن لادن؛ لإيمانه بأن وجود القوات الأجنبية في أرض الحرمين يعتبر انتهاكا للأراضي المقدسة، وبعد أن انتقد علنًا الحكومة السعودية لإيوائها الجنود الأمريكيين نُفي إلى السودان، وسُحبت منه الجنسية السعودية في ٩ إبريل (١٩٩٤م)، وتبرأت منه عائلته علنًا.

السودان:

بين عامي (١٩٩٢) و(١٩٩٦) ارتكز أسامة بن لادن والقاعدة في السودان بناءً على دعوة من حسن الترابي، وخلال هذه الفترة ساعد ابن لادن الحكومة السودانية، واشترى أو أنشأ العديدمن مؤسسات الأعمال، وأقام معسكراتٍ لتدريب المقاتلين.

كانت نقطة التحول الرئيسية في العلاقات بين الطرفين بعد أن وجّه أسامة بن لادن في عام (١٩٩٣م) انتقاداته اللاذعة للسعودية، بعد دعمها لاتفاقات (أوسلو)، التي وضعت طريق للسلام بين إسرائيل والفلسطينيين.

كان الظواهري وجماعة الجهاد الإسلامي المصري بمثابة النواة لتنظيم القاعدة، ولكنهم اشتركوا أيضًا في عمليات منفصلة ضد الحكومة المصرية، وكانوا أسوأ حظًا في السودان؛ ففي عام (١٩٩٣) قتلت تلميذة صغيرة أسمها شيماء في محاولة فاشلة للجهاد الإسلامي المصري لاغتيال رئيس الوزراء المصري عاطف صدقي، وتحول الرأي العام المصري ضد تفجيرات الجماعات الإسلامية، وألقت الشرطة القبض على أكثر من ٢٨٠ من أعضاء الجهاد وأعدم ستة، وفي عام (١٩٩٥) كانت المحاولة الفاشلة لاغتيال الرئيس المصري السابق حسني مبارك، التي أدت إلى طرد الحكومة السودانية لحركة الجهاد في مايو (١٩٩٦).

اللجوء إلى أفغانستان:

أصبحت أفغانستان فعليًا بلا سلطة حاكمة لمدة سبع سنوات، وعانت من القتال المستمر بين الحلفاء السابقين ومجموعات مختلفة من المجاهدين، وخلال التسعينات بدأت قوة جديدة تظهر وهي حركة طالبان، التي ترجع أصولها إلى طلاب المدارس في أفغانستان، والذين تيتم الكثير منهم من جراء الحرب، وكثير منهم تلقوا تعليمهم في شبكة من المدارس الإسلامية المنتشرة، سواء في قندهار أو مخيمات اللاجئين على الحدود الأفغانية الباكستانية.

ووفقا لأحمد راشد فإن خمسة من قادة طالبان كانوا من خريجي مدرسة واحدة، دار العلوم الحقانية المعروفة أيضًا باسم (جامعة الجهاد)، التي تقع في بلدة صغيرة في أكورا خاتاك قرب بيشاور في باكستان، والتي كان يدرس بها الكثير من اللاجئين الأفغان، كانت هذه المؤسسة تعكس المعتقدات السلفية في تعليمها، ويأتي الكثير من تمويلها من تبرعات خاصة من الأثرياء العرب، الذين يتصل بهم ابن لادن، وهناك أربعة من القيادات البارزة بما فيهم زعيم طالبان الملا محمد عمر مجاهد درسوا في مدرسة مشابهة في قندهار بأفغانستان، وفي وقت لاحق انضم كثير من المجاهدين إلى جانب طالبان لقتال محمد نبي محمدي رئيس حزب الحركة الانقلابية في فترة الغزو الروسي.

وأدى استمرار الاقتتال الداخلي بين الفصائل المختلفة، والفوضى بعد الانسحاب السوفيتي، إلى نمو وتنظيم طالبان، وتوسيع نطاق سيطرتها على أراضي أفغانستان، وأسسوا ما أُطلق عليه (إمارة أفغانستان الإسلامية)، وفي عام (١٩٩٤) احتلت طالبان قندهار، وبعد تحقيق مكاسب إقليمية سريعة احتلت العاصمة كابول في سبتمبر (١٩٩٦).

وبعدما أعلنت السودان أن ابن لادن وجماعته لم يعد مرحب بهم في تلك السنة، وفرت طالبان التي تسيطر على أفغانستان موقعا مثاليا لتنظيم القاعدة لإقامة مقرها، وتمتعت القاعدة بحماية حركة طالبان وبقدر من الشرعية؛ لأنها كانت جزء من وزارة دفاعها، على الرغم من أن باكستان والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة هم فقط من اعترفوا بحركة طالبان كحكومة شرعية في أفغانستان.

تمتعت القاعدة بملاذٍ آمنٍ في أفغانستان التي تسيطر عليها طالبان حتى هزيمة طالبان من قبل مجموعة من القوى المحلية، وشعبة الأنشطة الخاصة شبه العسكرية بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، والقوات الخاصة بالجيش الأمريكي، والقوات الجوية في عام (٢٠٠١)، ويعتقد أن أسامة بن لادن وغيره من قادة تنظيم القاعدة لا يزالون في المناطق التي يتعاطف سكانها مع طالبان في أفغانستان، أو في المناطق القبلية على الحدود الباكستانية.

فتاوى ابن لادن للقاعدة:

أعلن تنظيم القاعدة في عام (١٩٩٦) الجهاد لطرد القوات والمصالح الأجنبية من الأراضي الإسلامية، وأصدر ابن لادن فتوى أُعتُبرت إعلانا عاما للحرب ضد الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، وبدأ في تركيز موارد القاعدة لمهاجمة الولايات المتحدة ومصالحها، ففي ٢٥ يونيو(١٩٩٦) تم تفجير أبراج الخبر التي تقع في مدينة الخبر في المملكة العربية السعودية؛ مما أسفر عن مقتل ١٩ جندي أمريكي.

وفي ٢٣ فبراير (١٩٩٨) شارك أسامة بن لادن وأيمن الظواهري زعيم الجهاد الإسلامي المصري إلى جانب ثلاثة آخرين من الزعماء الإسلاميين في توقيع وإصدار فتوى تحت اسم الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين أعلنوا فيها :

إن حكم قتل الأمريكيين وحلفائهم مدنيين وعسكريين فرض عين على كل مسلم في كل بلد متى تيسر له ذلك، حتى يتحرر المسجد الأقصى والمسجد الحرام من قبضتهم، وحتى تخرج جيوشهم من كل أرض الإسلام، مسلولة الحد، كسيرة الجناح، عاجزة عن تهديد أي مسلم، وذلك وفقا لقول الله تعالى:

"وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً "[1]، وقوله " وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ " [2]

هذا بالرغم من عدم امتلاك ابن لادن أو الظواهري المؤهلات العلمية الشرعية لإصدار الفتوى من أي جهة إسلامية، إلا إنهم رفضوا سلطة علماء الدين الذين اعتبروهم خداما لحكام دولهم، وقد ادعى العميل السابق للمخابرات الروسية ألكسندر ليتفينينكو أن المخابرات الروسية دربت الظواهري في معسكر في داغستان قبل ثمانية أشهر من إعلان فتوى عام (١٩٩٨).

[1]- سورة التوبة آية (٣٦) .
[2]- سورة الأنفال آية (٣٩) .

عملياتهم وهجماتهم:

(١٩٩٢م): في يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٩٢ قامت القاعدة بأولى هجماتها الإرهابية بتفجير قنبلتين في عدن، كان هدفها الأول هو فندق موفنبيك، والثاني موقف السيارات التابع لفندق جولدموهر، وكانت تلك التفجيرات محاولة للقضاء على الجنود الأمريكيين وهم في طريقهم إلى الصومال للمشاركة في جهود الإغاثة الدولية للمجاعة.

تفجير مركز التجارة العالمي (١٩٩٣):

في عام ١٩٩٣ استخدم رمزي يوسف شاحنة مفخخة لمهاجمة مركز التجارة العالمي في نيويورك، كان الهجوم يستهدف تدمير أساس البرج الأول، وبالتالي انهياره على البرج الثاني، وبذلك يسقط المجمع بأكمله.

كان يوسف يأمل في قتل ٢٥٠,٠٠٠ شخصا، اهتزت الأبراج وتمايلت، لكن الأساس تماسك، ونجح رمزي في قتل ستة أشخاص فقط، على الرغم من أنه جُرح ١,٠٤٢ آخرون، وتسبب في إلحاق أضرار تُقدر بما يقرب من ٣٠٠ مليون دولار في الممتلكات).

أواخر التسعينات:

أدت عملية تفجير السفارات الأمريكية في نيروبي ودار السلام إلى مقتل أكثر من ٣٠٠ شخص معظمهم من السكان المحليين، وردًا على التفجير أطلق الجيش الأمريكي وابلاً من صواريخ كروز لتدمير موقع للقاعدة في خوست في أفغانستان، لكنه لم يلحق أذىً بشبكة القاعدة.

في أكتوبر (٢٠٠٠)، قام أعضاء من تنظيم القاعدة في اليمن بقصف بالصواريخ على المدمرة "يو أس أس كول" في هجوم انتحاري؛ مما أسفر عن مقتل ١٧ جنديًا أمريكيًا، وتدمير المدمرة وهي في الميناء، وبعد نجاح هذا الهجوم بدأت قيادة القاعدة في التحضير لهجوم على الولايات المتحدة نفسها.

هجمات ١١ سبتمبر:

ونصل إلى أشهر العمليات التي تركت علينا كمسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية أثرا سلبيا، وجعلتنا نعيش أياما شديدة الصعوبة؛ خوفا من المتطرفين الأمريكيين الذين جعلوا الإسلام عدوهم الأول وذلك بعد اعتداءات ١١ سبتمبر، التي تُعد أكثر الأعمال الإرهابية تدميرًا في أمريكا وفي تاريخ العالم، والتي أسفرت عن مصرع ما يقرب من ٣,٠٠٠ شخص، حيث اصطدمت طائرتان بأبراج مركز التجارة العالمي، وطائرة ثالثة في وزارة الدفاع الأمريكية، ورابعة استهدفت الكابيتول، لكنها تحطمت في بنسلفانيا.

قامت القاعدة بهذه الهجمات عملاً بفتوى عام ١٩٩٨ الصادرة ضد الولايات المتحدة وحلفائها من جانب القوات العسكرية بقيادة ابن لادن والظواهري وغيرهم، وتشير الدلائل إلى أن الفرق الانتحارية قادها القائد العسكري للقاعدة محمد عطا بالاشتراك مع ابن لادن وأيمن الظواهري وخالد شيخ محمد والحنبلي كمخططين رئيسيين.

أرسل ابن لادن عدة رسائل بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ تشيد بالهجمات وشرح دوافعها نافيًا أي تورط بها، وبرر ابن لادن الهجمات بالمظالم التي يشعر بها كل المسلمين، وبالتصور العام عن أن الولايات المتحدة تقوم بقمع المسلمين.

وبعد في أي دين وأي عقيدة وأي شريعة وأي ضمير إنساني من الممكن أن يتقبل أو يستوعب مثل هذه الأعمال، صحيح أن الإسلام شدد على الجهاد ضد كل مستعمر باغي، لكن أن نزهق أرواحاً ليست لها ذنب من قريب أو من بعيد بحجة أن الإسلام يدعو إلى الجهاد، تلك هي الإساءة العظمى لكل مسلم يدرك شريعته، والمنهج الذي رسمه له المولى سبحانه وتعالى، الذي قال في كتابه العزيز:" مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا " ([1])، وكذا قال عز وجل مخاطباً نبيه: " ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"([2])، هذا النبي الذي قال عنه المولى سبحانه وتعالى: " لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ "(٣)، فننظر كيف كانت أسوتنا حين خرج أسامة بن زيد قائداً لجيش المسلمين، فماذا قال له المصطفى - صلى الله عليه وسلم -: "لا تقتل امرأة ولا شيخا كبيرا ولا مريضا ولا طفلا صغيرا ولا تقطع الشجر ولا تهدم البيوت "، كذلك يحضرني موقف الفاروق - رضي الله عنه - حين جاءه أحد الأشخاص من شعب مصر شاكياً له ابن أميرها عمرو بن العاص الذي جلد ابنا له، فماذا صنع الفاروق؟

لقد قام بإحضار الأمير وابنه، وأمر الابن المضروب بجلد ابن الأمير مثلما فعل معه، ووجه لأمير مصر جملةً خالدةً تستحق أن تُنقش علي قصور الحكام والأمراء، وكل شخص معتقد أنه واصٍ على أفكار وعقول الناس، قال له عمر رضي الله عنه: " متى استعبدت الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا "([4]).

عزيزي القارئ، لقد عشنا صراعًا مريرًا مع بعض وسائل الإعلام الأمريكية، التي استغلت الحدث في تشويه صورة الإسلام، وهنا يأتي دورنا كدعاة أن نصلح من هذه

---

[1]- سورة المائدة آية (٣٢) .
[2]- سورة النحل آية (١٢٥) .
[3]- سورة الأحزاب آية (٢١) .
[4]- كتاب المحن ص (٣١٧).

الصورة في المساجد، والجلسات الخاصة التي تجمعنا بغير المسلمين، ومن خلال سلوكياتنا وسلوك أبنائنا في داخل المدارس ومع أصدقائهم، والحقيقة إنه من فضل الله علينا أنني وزوجي وأولادي قد نجحنا إلى حد بعيد أن نشرح للغير معنى الإسلام، وما يحتويه من شرائع وعقائد، وذلك في محيط البيئة التي نعيش فيها.

٤- الجهاد الإسلامي بمصر:

ونواصل حديثنا مع جماعة أخرى أساءت للإسلام والمسلمين، شأنها في ذلك شأن القاعدة، إنها حركة الجهاد الإسلامي، وقد عرفت هذه الحركة بعدة مسميات: الجهاد الإسلامي، والجهاد الإسلامي المصري، والجهاد، وجماعة الجهاد، والجماعة الإسلامية.

وهي جماعة دينية مسلحة متشددة سعت لإنشاء حكم إسلامي في مصر بالقوة، وتستهدف أي مؤسسة علمانية وخاصة الحكومات العربية العلمانية، ويتلخص الهدف الأساسي للجماعة في الإطاحة بالحكومة المصرية، واستبدالها بدولة إسلامية، ومهاجمة المصالح الغربية في مصر وخارجها.

برزت هذه الجماعة إلى الوجود في السبعينيات كظاهرة أكثر منها كجماعة منظمة في السجون وبعد ذلك في الجامعات المصرية، وبعد إطلاق الرئيس أنور السادات سراح معظم السجناء الإسلاميين بعد عام ١٩٧١ بدأت عدة مجموعات أو خلايا من المسلحين ينظمون أنفسهم، وعُرفوا بأسماء متعددة مثل: حزب التحرير الإسلامي، وجماعة التكفير والهجرة، والناجون من النار، والجهاد، بما في ذلك الجماعة الإسلامية، وكانت كل خلية تعمل منفصلة ومستقلة، الأمر الذي سمح بتكوين تنظيم ولكنه لم يكن منظما كما ينبغي، ويبدو أنه كان هناك نوع من الاتصال المنظم بين قادة الجماعات المختلفة، لكن ليس من الواضح إن كان هناك توجه عام فعال لكل الجماعات.

تاريخ الجماعة:

أفرزت معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عام ١٩٧٩ شعوراً بغضب عارم، ومع لهفته الشديدة لتعزيز زخم سياسته السلمية، أصبح السادات أكثر قربا من السياسة الأمريكية، مما اعتبره الإسلاميون فشلا داخليا وخيانة خارجية، واعتبر غير مبال بجيرانه العرب لصالح التقرب أكثر مع الغرب وخاصة الولايات المتحدة إلى جانب إسرائيل.

وجاء خطاب السادات في عام ١٩٨١ الذي هاجم فيه تلك الجماعات بشدة، وكشف مخططاتهم ليكون هو الدافع لاغتياله في أكتوبر ١٩٨١ على يد أعضاء من جماعة الجهاد مؤشرا على قدرة المسلحين الإسلامين على ضرب بناء السلطة المصرية في مقتل.

وتميزت السنوات الأولى لحكم الرئيس مبارك بخمود مؤقت للعنف، لكن عادت الجماعات الإسلامية المسلحة إلى تصعيد حملة العنف وزعزعة استقرار الدولة، ويمكن عزو بعض أسباب هذا التصعيد إلى الصعوبات الاجتماعية الناجمة عن سياسة التعديل الهيكلي الاقتصادي، والخطوات المتثاقلة لعملية التحول الديمقراطي، مما أفرز إحباطات اجتماعية واقتصادية مزمنة، فتفشت البطالة بين خريجي الجامعات والكليات، وخرج أمراء الجماعة الإسلامية من بين هؤلاء الخريجين، كذلك أفرزت القرى الأكثر فقرا في صعيد مصر عددا غير متجانس من الأتباع.

الحكومة تعلن الحرب:

ظلت الجماعات المسلحة متفرقة وصغيرة، فهي لا تتمتع بدعم شعبي كبير لأن السخط الاجتماعي لم يترجم دائما إلى عضوية جديدة، فظلت هذه الجماعة صوتا خافتا في المجتمع المصري، فإذا كان البعض يتعاطف مع أهداف الجماعة، فإن الأغلبية لم

تتعاطف مع أساليبها الدموية التي لا تفرق بين الأبرياء وغيرهم، ولا تتفق مع طبيعة الشعب المصري السلمية، وأدى ذلك إلى إعلان الحكومة حربا على هذه الجماعة بكل الوسائل المختلفة لاستئصالها، مما جعلها تتشتت في الأرض.

من عمليات الجماعة:

تركز جماعة الجهاد على الهجمات المسلحة على كبار الشخصيات في الحكومة المصرية والسيارات المفخخة ضد المرافق الرسمية المصرية والغربية، وينسب إلى جماعة الجهاد مسؤوليتها عن اغتيال الرئيس السادات عام ١٩٨١، كذلك أعلنت الجماعة مسؤوليتها عن محاولتي اغتيال وزير الداخلية الأسبق حسن الألفي عام ١٩٩٣ ، ورئيس الوزراء عاطف صدقي في العام نفسه، وحادث نسف السفارة المصرية في إسلام آباد عام ١٩٩٥ ، والتخطيط لهجوم على السفارة الأمريكية في ألبانيا تم إجهاضه.

أماكن وجود الجماعة:

يتركز نشاط الجماعة في مصر، كما أن لها شبكة خارج الأراضي المصرية موزعة على كل من: اليمن وأفغانستان وباكستان والسودان ولبنان والمملكة المتحدة وأماكن أخرى، ويقدر عدد أفراد الجماعة بالآلاف، وما يماثلهم من المتعاطفين معها من الجماعات المختلفة.

وبعد، فرأينا في تلك الجماعة لا يختلف عن رأينا في القاعدة، ويكفي جرماً ما صنعته هذا الجماعة بإزهاق روح الطالبة شيماء عام ١٩٩٣ حين ذهبت تطلب العلم كما أمر بذلك الله ورسوله، فكان نتيجة ذلك أن تفقد حياتها علي يد جهلاء لا يعرفون ماذا يقولون، وفي أي شيء يفعلون، إنهم لا يستحقون حتى الدعوة عليهم بالرحمة .

٥- داعش:

ونصل الآن إلى تلك الجماعة حديث الساعة، والتي شغلت العقول منذ عدة سنوات؛ بسبب أعمالها الوحشية التي هي أبعد ما يكون عن سماحة الإسلام.

وهي جماعة متفرعة عن السلفية الجهادية، وهم يتمركزون في الدول التي تشهد نزاعات سياسية، مثل: العراق، وسوريا، واليمن، والصومال، ونيجيريا، وليبيا، وكانت تسمى قديماً بتنظيم الدولة الإسلامية، وبحسب اعتقاد هؤلاء فإنهم يهدفون إلى عودة الخلافة الإسلامية.

وقد تبرأت من هذه الجماعة جميع المؤسسات الدينية؛ بسبب ما تصنعه من قتل ونهب، وتدمير للآثار، فضلاً عن أعمالهم الوحشية.

نشأتهم:

قيل: إنها قد انبثقت من تنظيم القاعدة في العراق الذي أسسه وبناه أبو مصعب الزرقاوي عام ٢٠٠٤م عندما كان مشاركًا في العمليات العسكرية ضد القوات التي تقودها الولايات المتحدة والحكومات العراقية المتتابعة في أعقاب غزو العراق عام ٢٠٠٣، وذلك جنبًا إلى جنب مع غيرها من الجماعات السنية المسلحة، وقد شهدت هذه الجماعة انتشارًا على يد زعيمها أبي بكر البغدادي، ابتداءً من عام ٢٠١٤، وحصلت على الدعم في العراق بسبب التمييز الاقتصادي والسياسي المزعوم ضد السنة العراقيين.

وتم لها وجود كبير في المحافظات السورية من الرقة، وإدلب، ودير الزور، وحلب بعد الدخول في الحرب الأهلية السورية، إلا أن هذا التقدم توقف بعد إنشاء تحالف من عدة دول لمحاربة التنظيم يشمل دولًا عربية وإسلامية وأجنبية، من بينها السعودية

وإيران، وما بين أغسطس ٢٠١٤ وإبريل ٢٠١٥، خسر تنظيم الدولة (داعش) ما بين ٢٥% إلى ٣٠% من الأراضي التي يُسيطر عليها في العراق.

كان الهدف الأصلي لداعش هو إقامة الخلافة وفق ما يدعون في المناطق ذات الأغلبية السنية في العراق، وبعد مشاركتهم في الحرب الأهلية السورية توسع هدفهم ليشمل السيطرة على المناطق ذات الأغلبية السنية في سوريا.

وقد أعلنت الخلافة يوم ٢٩ يونيو من عام ٢٠١٤، وأصبح أبو بكر البغدادي يعرف باسم أمير المؤمنين ويلقب بالخليفة، والجماعة قد تم تغيير اسمها إلى الدولة الإسلامية فقط.

يُحارب التنظيم كل من يُخالف آرائه وتفسيراته الشاذة من المدنيين والعسكريين، ويصفهم بالرِّدة والشِّرك والنفاق ويستحل دماءهم، ففي عام ٢٠١٥ فقط قام التنظيم بتبنِّي خمس عمليَّات تفجير انتحارية لمساجد يحضرها الشيعة أثناء أداء صلاة الجمعة في كلٍّ من مدينة الكويت والقطيف والدمَّام، كما قام بعملية تفجير انتحارية في نقطة تفتيش في السعودية مُستهدفًا الشرطة السعودية، بالإضافة لقتل عشرات السائحين في أحد المنتجعات التونسية، وعشرات الهجمات في أوروبا والولايات المتحدة، إضافة لتفجير أحد أسواق محافظة ديالى العراقية، وقد نتج عن هذه العمليات مقتل ما يزيد عن مائة وتسعين مدنيًّا، وتفجير ستة مساجد في اليمن أثناء أداء صلاة الجمعة في شهري إبريل ومارس، نتج عنها مقتل ما يزيد عن مائة وسبعين مصليًا.

وقد فقد التنظيم مساحات شاسعة من الأراضي التي كان يسطير عليها في عام ٢٠١٧ بعد هزيمة التنظيم في معركة الموصل على يد قوات الحكومة العراقية، وفقد بعدها عدداً من القواعد العسكرية، والمدن في العراق وسوريا .

والغريب في الأمر والمريب أيضاً أن خليفة هذا التنظيم، قد ادعوا قتله عدة مرات ثم نفاجأ أنه ما زال على قيد الحياة، وهذا هو المريب في الأمر.

ونصل إلى عجيبة العجائب؛ والتي توقفت عندها كثيراً، وهي نبوءة سيدنا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في هذا التنظيم، التي قدمت وصفاً دقيقاً لتنظيم (داعش)، ووصفهم بأصحاب الرايات السود، حيث قال قبل أربعة عشر قرناً: (إذا رأيتم الرايات السود فالزموا الأرض، فلا تحركوا أيديكم ولا أرجلكم، ثم يظهر قوم ضعفاء لا يؤبه لهم، قلوبهم كزُبُرِ الحديد، هم أصحاب الدولة، لا يوفون بعهد ولا ميثاق، يدعون إلى الحق وليسوا من أهله، أسماؤهم الكنى، ونسبتهم القرى، وشعورهم مرخاة كشعور النساء، حتى يختلفوا فيما بينهم ثم يؤتي الله الحق من يشاء).[1]

ليس هناك من يمكن أن يشكك في حقيقة نبوءة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - حول ظهور داعش، بعد أن ذكر في هذه الرواية صفات الدواعش بالشكل والممارسة، وبدقة متناهية، وكأن الإمام علي - رضي الله عنه - يراهم رأي العين في هذه الرواية، يرفعون الرايات السود، وهي الراية المعروفة التي أصبحت اليوم رمزاً لهم، وبالرغم من أنهم أقلية ضعيفة، فهم في أغلبهم صبية ومراهقين، إلا إنهم قساة متوحشون يتلذذون بالقتل (قلوبهم كزُبُرِ الحديد)، يرفعون شعار (الدولة الاسلامية)، وهي منهم براء.

يدعون زوراً الى الحق، بينما كل ممارساتهم تدل بما لا يقبل الشك على أنهم أهل باطل وضلال، لا يوفون بعهد ولا ميثاق، فهم يغدرون كما هو ديدنهم في كل بلد تسللوا إليه.

---

[1]- وردت في كتاب الفتن: نعيم بن حماد (٥٧٣) .

أسماء (الدواعش) الكنى، ونسبتهم (القرى) أبو بكر البغدادي، وأبو عمر الشيشاني، وأبو مصعب الزرقاوي.

شعورهم مرخاة كشعور النساء، وهي صفة عامة بين (الدواعش)، فلا تجد داعشيا إلا وقد أرخى شعره مثل النساء.

وسيدنا علي – رضي الله عنه - لم يتنبأ بظهور داعش وصفاتهم فحسب، بل تنبأ أيضا بالطريقة التي يجب من خلالها مواجهتهم، وهي مقاومتهم والوقوف في وجههم، والتصدي لهم ومحاربتهم من خلال تأكيده – رضي الله عنه - بلزوم الأرض، وعدم التزحزح عنها، وهذه المقاومة ستكون سببا في إضعافهم، وبث الاختلاف بينهم، ومن ثم هزيمتهم.

البعض قد يستغرب هذا الحديث وكيفية تصويره ما نحن فيه اليوم، وكذلك تناوله السبيل الأنجح لمواجهة الدواعش، رغم إنه يعود الى ١٤٠٠ عام ، واستشهد به مفتي مصر الدكتور شوقي علام.

وقريب من هذا نجد قصيدة شعرية نظمها ابن يوسف الموصلي المسعودي قبل ٧٠٠ عام، حيث طلب منه تلامذته نصيحة، فأجابهم بهذه القصيدة التي تنبأ فيها ماذا سيحدث في العراق والشام، والتي كتبها سنة ٧٤٥ هجرية، حيث تحقق جزء كبير منها، والعجيب بأنه أشار فيها لـ (داعش)، ولكن بمسمّى مختلف، ينطبق عليها وصفه:

تعيشــونَ دهــراً ترون الرِّيَبْ ولا يدفعُ المرءُ هَولَ الخُطَبْ

ويستَعمِرُ الشــامَ سفَّاحُهــا ويجني رؤوسَ الورى كالعنبْ

ويبقــى بهــا خمســةٌ كاملة سنيناً طـ"والاً يجُــزُّ العــربْ

وآهٍ على موصلي والعــراق يجيءُ ظلامٌ شديــدُ الرَّهَــبْ

ويفترقُ النــاسُ فيهِ افتراقا كمــوجٍ تلاطــمَ ثُمَّ اضطربْ

ويخرجُ "دائشُ" مــن بينهــم ليقلبهــم وهْــوَ فيهــا انقلــبْ

ويقتــلُ منهــم مِئاتُ المِئات وضيعاً حقيراً رفيــعَ النســبْ

ويسطــو علــى كعبةِ الله في ثــلاثٍ ، ويملــؤها بالذهــبْ

ويسلبُ من حجَّ فيها وطــاف ويحــرقُ فيهــا صحيــحَ الكُتــبْ

وتغرقكــــم فتنَةٌ جــامِعــة فتأكُلُكُــم مثــل نــارِ الحطبْ

وتــرمي اليهــودُ عليكم ســام من النارِ فيهــا شديــدُ العطبْ

وتنحــركم مثــل نحــرِ النعاجْ وأنتم جلــوسٌ فيــالَ العجــبْ

وكسرى من الشرق يأتي لكم وقــد كاد كيداً شديد الغضب

هــو الرأسُ والسمُّ في شِــدقِهِ وينبعــــهُ المــوتُ مثــلُ الذَّنَــبْ

ويــزداد فيكم ســواد السنين تهيمون وسط الغنــا والطــربْ

وفيكــم سَيَكثُرُ نسلُ البنات ويحلــقُ كــلُّ الذكــور الشَّنَــبْ

فللّه نبــرأُ مــــن وقتكــــم ولله نبــــرأُ مــنكــــم عَــــرَبْ

وكما هو واضح كأن الرجل يصف ما تفعله داعش في زماننا الآن، وعلى كل حال فرأيي في هذه الجماعة هو أنها صنيعة أعداء الإسلام، بدليل أنها تتحصل على السلاح والمال بسرعة وسهولة، فهي تُستخدم لهدف سياسي ما، وليس لها أية علاقة بالدفاع عن الإسلام لا من قريب أو من بعيد، والذي يزيد من قناعتي بهذا الرأي هو هذا الغموض الكبير الذي يدور حول زعمائها وأفرادها، وأهدافها وأفعالها التي تأباها أبسط مبادئ الإنسانية، وكذلك أنها لا تفرق في القتل بين المسلم وغيره، فهي تبطش بمن تقابله، وهذا معناه أنها ليس لها عدوٌ محددٌ، لكن الهمجية وإحداث الفوضى هي الطابع الغالب عليها، أراحنا الله من تلك الجماعة ووقانا شر صنيعها.

٦- حزب التحرير:

كثير هي الحركات والجماعات التي أساءت إلى الإسلام بما تحمله من أفكار متطرفة كما رأينا عند القاعدة والجهاد الإسلامي، لكننا هذه المرة نقف مع إحدى الجماعات التي لا تختلف فكرا فقط بل في العقيدة أيضاً، إنها جماعة أطلقت على نفسها حزب التحرير، فهي جماعة تدعو إلى إقامة دولة الخلافة الإسلامية، وتوحيد المسلمين تحت مظلة الخلافة، ينظم هذا الحزب نفسه كحزب سياسيّ ينشط في المجالات السياسية والإعلامية وفي مجال الدعوة الإسلامية، وبناءً على منشورات الحزب فإنه يتخذ من العمل السياسي والفكري طريقاً لعمله، ويتجنب ما يسميه بالأعمال المادية مثل الأعمال المسلحة لتحقيق غايته.

وقد تأسس هذا الحزب على يد القاضي تقي الدين النبهاني في القدس مطلع عام ١٩٥٣م بعد تأثره بحال العالم الإسلامي إثر سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية في إسطنبول عام ١٩٢٤م.

وقد نظم النبهاني جماعته كحزب سياسي، وسمى القيادة السياسية في حزب التحرير بـ"الإمارة"، يتولاها "أمير الحزب" الذي يتم انتخابه داخلياً طبقاً لآليات حزبية معينة، وتكون مدة إمارته غير محدودة، وكان النبهاني هو الأمير المؤسس، وظل يقود الحزب حتى وفاته عام ١٩٧٧م.

يتخذ حزب التحرير من العمل السياسي والفكري طريقة للوصول إلى غايته، اقتداءً برسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - حسب اعتقادهم أثناء عمله في المرحلة المكية التي سبقت هجرته إلى المدينة المنورة، وتأسيس الدولة الإسلامية فيها. وقول النبهاني ينافي أيضا قول الله تعالى مُخبرًا عن موسى - عليه السلام - :

"إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ "[1] وهذا صريح بأنَّ اللهَ تعالى هو الذي يخلق الاهتداء في قُلوب مَن شاء أن يَهديهم، والضلالة في قلوب من شاء أن يضلهم، وَيَرده أيضا قولهُ تعالى:" وَنُقَلِّبُ أفْئِدَتَهُم وأبْصارَهُم"[2]، فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية بأنَّ عمل العبد القلبي وعمله الذي يعمله بجوارِحِه من فعل الله تعالى وخَلْقِه.

وأما مُخالفته للحديث فقد روي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قالِ: "كلُّ شيء بِقَدَر حتى العَجزُ والكَيس"[3]، وقوله: " إنَّ اللهَ صانع كل صانع وصنعته "[4] ، وقوله: "صنفان من أمتي لا نَصيب لهُما في الإسلام: القدرية والمُرجئة"[5]، فهذا الحديث صريح في تكفير أهل القدر القائلين: بأن العبد هو الذي يخلق أعماله بإرادته وتقديره كهذه الفرقة التحريرية، فهم بهذه المقولة جردوا أنفسهم من الإسلام، وانسلخوا منه كما تَنسَلِخ الحيّة من جلدها.

وأما مخالفته لصحيح العقل فهو أنه يَلزم مِن قولهم هذا أن يكون الله مغلوبا مقهورا، لأنه يكون العبد على ذلك خالقًا لهذه المعاصي على رغم إرادة الله تعالى الله عن ذلك، والله لا يكون إلا غالبًا، وأيضا على حَسَب زعمهم يجري في ملكه تعالى شيء بغير مشيئته، وهذا ممّا لا يَصح؛ فإنه لا يجري في ملكه طرفة عين ولا لفتة ناظر إلا بقضاء الله وقدره ومشيئته وعلمه، ولا فرق بين ما كان خيرا أوشرا.

ومن جملة تحريفاتهم أنّهم يقولون: إن الذي يكون في زَمَن ليس فيه خليفة كهذا الزمن إذا مات تكون ميتته ميتة جاهلية، مع إيهامهم أن ذلك لمن لم يتكلم معهم في أمر الخليفة كما هم يتكلمون بألسنتهم.

---

[1]- سورة الأعراف آية (١٥٥) .
[2]- سورة الأنعام آية (١١٠) .
[3]- صحيح مسلم (٢٦٥٥) .
[4]- رواه البخاري في صحيحه في خلق أفعال العباد رقم (١١٧).
[5]- الشريعة للآجري رقم (٣٠٧/١) .

يُقال لهم : حديث ابن عمر عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم– بلفظ : " مَنْ خَلَعَ يدًا من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة له، ومَن مات وليس في عُنقه بَيْعة مات ميتة جاهلية" ([1]) ، فهم يذكرون للناس الجملة الأخيرة، فيكررون: " من مات وليسَ في عُنُقِهِ بَيْعَة مات ميتة جاهلية "، ومعنى هذا الحديث أنَّ مَن تَمرَّدَ على الخليفة واستمر على ذلك إلى الممات تكون مِيتَتُه مِيتَة جاهلية، كما يَدُّل على ذلك حديث البخاري ومسلم عن حُذَيفةَ بنِ اليَمان والذي قال فيه رَسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بعد وَصف الدُعاة على أبواب جهنم: " فالزَموا جَماعَة المسلمينَ وإمامَهُم "، قالَ حُذَيْفة: فإن لم يَكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فَاعْتَزِل تِلكَ الفِرَق كلَّها "، ولم يَقُل رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا أنتم تَموتونَ ميتة جاهلية ([2]).

ومن أباطيلهم قولهم: إنه لا يَحْرُمُ المشْي بقصد الزنى بامرأة أوِ الفجور بغلام، وإنما المعصية في التطبيق بالفعل، وفي هذا الكلام مخالفة للإجماع، وللحديث: " كُتِبَ على ابنِ آدَمَ نَصيبُهُ مِنَ الزنى مُدْرِكٌ ذلِكَ لا مَحالة، فالعَيْنانِ زِناهُما النَظَر،والأذُنانِ زِناهُما الاسْتِماع، واللِسان زِناهُ الكَلام، واليَدُ زِناها البَطش، والرِجْلُ زِناها الخُطا، والقَلْبُ يَهْوى ويَتَمنّى وُيصدق ذَلِك الفَرْج ويُكَذّبه " ([3])

وأيضا قولهم بجواز مُصافحة الرجل للمرأة الأجنبيّة بلا حائل اجتهاد على خلاف النص، فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : "واليد زِناها البطش " ، والبطش هو الإمساك باليد، لأن البَطْش له مَعْنيان في اللغة: أحدهما: الأخذ بعنف، والثاني: عمل اليَد، قال الفَيّومي بطشت اليد: أي عملت ([4])

---

[1]- رواه مسلم (١٨٥١) .
[2]- صحيح مسلم بشرح النووي (١١- ١٢)
[3]- رواه البخاري (٦٦١٢) .
[4]- المصباح المنير للفيومي (١ – ٥١) .

ويَدلُّ على تحريم المصافحة للأجنبيّة أيضا حديث: " لأنْ يُطْعَنَ أحَدكم في رأسِهِ بمخيط من حديد خير له من أن يَمسّ امرأة لا تَحلّ له " ([1]).

وبعد فكما هو واضح مدى الجهل المطبق، وسوء الفهم لأصول الدين وقواعده، فقد أدى ذلك كله إلى ظهور فكر متخبط بعيدا عن الفكر الإسلامي الصحيح، ولا أدري هل قرأ هؤلاء سير الصحابة الكرام - رضوان عليهم - وكتب الأوائل التي شرحت الإسلام وشريعته بشكل صحيح؟ أعتقد لا .

[1]- أخرجه الروياني في المسند (١٢٨٣) باختلاف يسير، والطبراني (٢٠-٢١١)(٤٨٦)، والبيهقي كما في الترغيب والترهيب ، للمنذري (٣- ٢٦) واللفظ لهما .

٧- الإخوان المسلمون:

ونقف الآن مع نمط آخر من أنماط الجماعات الإسلامية، لكنها والحق يقال: تُعد أكثر الجماعات الإسلامية تنظيماً ودقةً في تصرفاتها، فهم يعرفون ماذا يريدون، فضلاً عن السرية الشديدة التي تكتنف تلك الجماعة، أعني من الداخل، إنها جماعة الإخوان المسلمين، وهي جماعة تصف نفسها بأنها إصلاحية شاملة، وتعتبر أكبر حركة معارضة سياسية في كثير من الدول العربية، خاصة في مصر، أسسها حسن البنا في مصر عام ١٩٢٨م كحركة إسلامية، وسرعان ما انتشر فكر هذه الجماعة، فنشأت جماعات أخرى تحمل فكر الإخوان في العديد من الدول، ووصلت الآن إلى ٧٢ دولة، تضم كل الدول العربية ودولاً إسلامية وغير إسلامية في القارات الست.

بدأ نشاطهم في مصر كحركة جامعة شاملة تُعنى بالإصلاح الاجتماعي والسياسي، أُسست في مدينة الإسماعيلية وما لبثت أن انتقلت إلى القاهرة، وفي ثلاثينيات القرن العشرين زاد التفاعل الاجتماعي والسياسي للإخوان المسلمين، وأصبحوا في عداد التيارات المؤثرة سياسياً واجتماعياً.

وفي عام ١٩٤٢خلال الحرب العالمية الثانية عمل الإخوان على نشر فكرهم في كل من شرق الأردن وفلسطين، كما قام الفرع السوري بالانتقال إلى العاصمة دمشق في عام ١٩٤٤.

وبعد الحرب العالمية الثانية قام الإخوان المسلمون بالمشاركة في حرب ١٩٤٨ لتحرير فلسطين بكتائب انطلقت من كل من: مصر بقيادة البطل أحمد عبد العزيز والصاغ محمود لبيب والشيخ محمد فرغلي وسعيد رمضان، ومن سوريا بقيادة مصطفى السباعي، ومن الأردن بقيادة عبد اللطيف أبو قورة وكامل الشريف، ومن العراق بقيادة محمد محمود الصواف وفلسطين.

وحُلت الجماعة في أعقاب عودة مقاتليها من حرب فلسطين من قِبل محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء المصري آنذاك بتهمة التحريض والعمل ضد أمن الدولة. ولاحقا اغتيل محمود فهمي النقراشي، وقد أدان الإخوان قتل النقراشي، وتبرؤوا منه بعدما قال البنا مقولته الشهيرة عن القتلة: " ليسوا إخوانا، وليسوا مسلمين".

وكان الذي قام بهذا العمل طالبا بكلية الطب البيطري بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة، اسمه عبد المجيد حسن، أحد طلاب الإخوان الذي قُبض عليه في الحال، وأودع السجن، وقد ارتكب فعلته وهو يرتدي زي ضابط شرطة، لهذا لم يُشَك فيه حين دخل وزارة الداخلية، وتربصّ بالنقراشي لإطلاق النار عليه، وبعد اغتيال النقراشي بعدة أشهر تمّ اغتيال مؤسس الجماعة حسن البنا مساء السبت ١٢ فبراير١٩٤٩م.

أهداف الجماعة ووسائلها:

طبقاً لمواثيق الجماعة فإن الإخوان المسلمين يهدفون إلى إصلاح سياسي واجتماعي واقتصادي من منظورِ إسلامي شامل في مصر وكذلك الدول العربية، التي يتواجد فيها الاخوان المسلمون مثل:الأردن والكويت وفلسطين وتونس، كما أنّ الجماعة لها دور في دعم عدد من الحركات الجهادية، التي تعتبرها حركات مقاومة في العالمين: العربي والإسلامي ضد كافة أنواع الاستعمار أو التدّخل الأجنبي، مثل حركة حماس في فلسطين، وحماس العراق في العراق،وقوات الفجر في لبنان.

وتسعى الجماعة في سبيل الإصلاح الذي تنشده إلى تكوين الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، ثم الحكومة الإسلامية فالدولة، فأستاذية العالم وفقاً للأسس الحضارية للإسلام عن طريق منظورهم، وشعار الجماعة: (الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا)،وفي ٢٠١١ بعد

اندلاع ثورة ٢٥ يناير أسست جماعة الإخوان المسلمين حزب الحرية والعدالة ذا المرجعية الإسلامية.

فهم الإخوان للإسلام:

ذكر حسن البنا في رسالة المؤتمر الخامس تحت عنوان: (إسلام الإخوان المسلمين) " أن الإسلام عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، وروحانية وعمل، ومصحف وسيف".

وذكر أيضاً " أن فكرة الإخوان المسلمين نتيجة الفهم العام الشامل للإسلام، قد شملت كل نواحي الإصلاح في الأمة، فهي دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية ثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية ".

وذكر أيضا في نفس الرسالة أن خصائص دعوة الإخوان التي تميزت بها عن غيرها من الدعوات: البعد عن مواطن الخلاف، وعن هيمنة الأعيان والكبراء على الأحزاب والهيئات.

العناية بالتكوين والتدرج في الخطوات وإيثار الناحية العملية الإنتاجية على الدعاية والإعلانات، وشدة الإقبال من الشباب، وسرعة الانتشار في القرى والمدن، ووضع حسن البنا عشرة أركان للبيعة لدى الإخوان في رسالته الشهيرة رسالة التعاليم وهي: (الفهم والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية والطاعة والثبات والتجرد والأخوَّة والثقة)، وذكر ضمن ركن الفهم الأصول العشرين لفهم الإخوان للإسلام والتي تعتبر الرؤية والأرضية التي تقوم عليها الجماعة في كل مكان، وقام العديد من مفكري الجماعة بشرح هذه الأصول مثل الدكتور يوسف القرضاوي والشيخ جمعة أمين، وتشترط جماعة الإخوان المسلمين على التنظيمات الإخوانية في العالم فهم الإسلام ضمن الأصول العشرين.

منهج جماعة الإخوان المسلمين :

وصف حسن البنا جماعة الإخوان في رسالة المؤتمر الخامس على أنها جماعة إصلاحية شاملة، تفهم الإسلام فهما شاملا، وتشمل فكرتهم كل نواحي الإصلاح في الأمة، وأنها:

- دعوة سلفية، إذ يدعون إلى العودة إلى الإسلام، إلى أصوله الصافية القرآن والسنة النبوية، وهي أيضا طريقة سنية لأنهم يحملون أنفسهم علي العمل بالسنة المطهرة في كل شيء، وبخاصة في العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلا.
- حقيقة صوفية، يعتقدون أن أساس الخير طهارة النفس، ونقاء القلب، وسلامة الصدر، والمواظبة على العمل، والإعراض عن الخلق، والحب في الله، والأخوة في الله.
- هيئة سياسية، يطالبون بالإصلاح في الحكم، وتعديل النظر في صلة الأمة بغيرها من الأمم، وتربية الشعب على العزة والكرامة.
- جماعة رياضية، يعتنون بالصحة، ويعلمون أن المؤمن القوي هو خير من المؤمن الضعيف، ويلتزمون قول النبي: " إن لبدنك عليك حقًا "، وأن تكاليف الإسلام كلها لا يمكن أن تُؤدى إلا بالجسم القوي، والقلب الذاخر بالإيمان، والذهن ذي الفهم الصحيح.
- رابطة علمية ثقافية، فالعلم في الإسلام فريضة يحض عليها، وعلى طلبها، ولو كان في الصين، والدولة تنهض على الإيمان والعلم.

- وشركة اقتصادية، فالإسلام في منظورهم يُعنَى بتدبير المال وكسبه، والنبي يقول: "نعم المال الصالح للرجل الصالح" و" من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورًا له).
- كما أنهم فكرة اجتماعية، يعنون بأدواء المجتمع، ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها.

أي أن فكر الإخوان مبني على شمول معنى الإسلام، الذي جاء شاملاً لكل أوجه ومناحي الحياة، ولكل أمور الدنيا والدين.

رؤية الإخوان للمرأة:

منذ قيام الجماعة، أسس حسن البنا قسم الأخوات المسلمات، وكانت أول رئيسة لهذا القسم هي لبيبة أحمد، وأنشأ أيضا معهد أمهات المؤمنين في الإسماعيلية، كما أن الجماعة رشّحت أكثر من مرة نساء على قوائمها الانتخابية مثل: د. منال أبو الحسن، ود. مكارم الديري، وجيهان الحلفاوي في مصر، وأم نضال، ومريم صالح في فلسطين، ود. حياة المسيمي في الأردن.

غير أن الجماعة في مصر تتمسك بعدم أهلية المرأة لرئاسة الدولة، ولكن لها ما دون ذلك من المناصب بما فيها رئاسة الوزراء.

الإخوان المسلمون والغرب:

يقول الإخوان: إنهم لا يؤيدون الحوار مع المؤسسات الرسمية في الغرب إلا برعاية وزارة الخارجية المصرية بالنسبة للحالة الإخوانية المصرية، إلا إنهم يساهمون في حوارات ثقافية وسياسية وحقوقية مع مراكز حقوقية وبحثية بارزة في الغرب، حيث صدرت تقارير مهمّة في هذا الشأن كبحوث مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، ومجلة الفورين بوليسي، ومؤسسة أبحاث الحركات الأصولية، وأبحاث بارزة لباحثين كمارك لينش وعمرو حمزاوي.

أبرز شخصياتهم:

- حسن البنا: ويلقب بين أنصاره بالإمام الشهيد، مؤسس الجماعة وصاحب الفكر الرئيسي المؤثر في أفرادها من خلال العديد من الرسائل التي ألّفها.
- القاضي والفقيه عبد القادر عودة: كان فقيها دستوريا كبيرا، وأستاذا جامعيا مصريا مشهورا، تم إعدامه بعد أحداث المنشية في عهد جمال عبد الناصر.
- المفكر سيد قطب: مفكّر إسلامي معاصر، وناقد أدبي، درس في الولايات المتحدة، وخلال رحلته تلك حصلت له العديد من المواقف الفارقة في حياته، وبعد عودته انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، له مؤلفات ضخمة ومؤثرة مثل: " في ظلال القرآن"، و" التصوير الفني في القرآن"، و"العدالة الاجتماعية في الإسلام"، وقد أُعدم في عهد جمال عبد الناصر أيضا.
- د. مصطفى السباعي: مؤسس حركة الإخوان المسلمين في سوريا، وأول مراقب للإخوان في سوريا ولبنان، ورئيس المكتب التنفيذي للإخوان في الخارج إبان الحقبة الناصرية، وأول عميد لكلية الشريعة بجامعة دمشق.

- محمد محمود الصواف: مؤسس فرع الإخوان المسلمين في العراق، وأول مراقب للإخوان في العراق، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.
- الشيخ سعيد حوّى: المراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا سابقًا، وأحد أبرز مفكري الجماعة.
- زينب الغزالي: داعية إسلامية مصرية، تعرضت في فترة حكم عبد الناصر للاعتقال وسجنت ٦ سنوات.
- الشيخ محمد الغزالي: إمام وداعية إسلامي معاصر، ذو منهج متفرّد في معالجة القضايا الإسلامية، وأحد أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، وله عدد كبير من المؤلفات والأطروحات الفقهية المستنيرة، ومن أشهر كتبه: "الإسلام في مواجهة الاستبداد السياسي"، و"قضايا المرأة بين التقاليد الوافدة والراكدة"، و"الإسلام وقضايا العصر"، و"السنة النبوية بين أهل الرأي وأهل الحديث".
- الشيخ سيد سابق: أحد علماء الأزهر، اُشتُهر بكتابه" فقه السنة "، والذي يُعدُّ من أهم المراجع الفقهية في العصر الحديث.
- محفوظ نحناح: مؤسس حركة مجتمع السلم حمس بالجزائر.
- الشيخ أحمد ياسين: مؤسس حركة المقاومة الإسلامية حماس في فلسطين، وشيخ الانتفاضة الفلسطينية، والأب الروحي للمقاومة الفلسطينية، وتم اغتياله بواسطة الجيش الإسرائيلي.
- الدكتور العالم زغلول النجار: داعية إسلامي كبير، وأحد كبار العلماء الجيولوجيين في العالم، وقد اعتنق الإسلامَ على يديه الآلافُ من البشر، ويعدّ من أفضل من تكلم في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وهو مستشار الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ويعمل مستشارًا لعدة جامعات ومؤسسات علمية ودعوية عالمية.

جماعة الإخوان المسلمين في ميزان النقد:

مما سبق قمت باستقصاء تاريخي لتلك الجماعة وأهدافها – كما تراها هي – لكن لي رؤية الخاصة تجاههم من خلال مجريات الأحداث، أو من خلال معايشتي لهم داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وأستطيع أن أجمل رؤيتي لتلك الجماعة فيما يلي:

١- كشفت الأحداث الماضية، ومن خلال الثورات العربية وما قبلها، عن مدى الغباء السياسي لجماعة الإخوان المسلمين؛ ظهر ذلك واضحًا في فشلهم الذريع لإدارة السياسة المصرية، عندما اعتقدوا أنهم قد سيطروا على كل شيء، وكذلك فشلهم الذريع في تونس من خلال حركة النهضة، التي سقطت بعد إخفاقها في حل الأزمات السياسية والاقتصادية.

والحقيقة إن الإخوان على مرّ تاريخهم كانوا دُمية في يد الحكومات العربية، يستخدمونها بحسب مجريات الأحداث، ثم ينقلبون عليهم بعد ذلك، فليس لهم على أرض الواقع منهجٌ سياسيٌّ واضحٌ.

٢- فشل جماعة الإخوان المسلمين في احتواء غيرهم ومخالفيهم في الرأي، إلى الدرجة التي رأينا فيها مدى القسوة والتشدد التى تعاملوا بها مع الدكتور عبد المنعم أبي الفتوح، بعد انشقاقه عنهم، فهم ينهجون المثل القائل: إما مع وإما ضد.

٣- أرى جماعة الإخوان المسلمين يهدفون من خلال حركتهم إلى هدف سياسي بحت، ولا أرى للدين عندهم غاية أو هدف؛ فهو مجرد وسلية للعب على الوتر العاطفي للعوام من الناس، ودليل ذلك أننا لم نرَ عندهم نشاطا دعويا بارزا في دول العالم يهتم بنشر الإسلام، وتصحيح المفاهيم المغلوطة عنه، لكن نشاطهم يتمركز في شأن الجماعة

ومصالحها الاقتصادية والسياسية، ولذا نرى أكثرَهم من رجال الأعمال، والقليل منهم من رجال الدين.

٤- محاولتهم الدؤوبة للنيل من الأزهر؛ لأنهم يرون فيه العائق لتحقيق أهدافهم، فقد رأينا مدى الحرب الشعواء التي أقاموها على الأزهر ورجاله من خلال مؤسساتهم العلمية.

٥- كراهيتهم الشديدة لغيرهم من الجماعات الإسلامية؛ حيث إنهم يريدون أن يتفردوا بالحديث باسم الإسلام دون غيرهم، ويرون في أنفسهم خير ممثل لذلك، وأنهم دائما على صواب، وغيرهم على خطأ، ناهيك عن اقتصار الرأي عندهم على كبارهم فقط، أما باقي أفراد الجماعة فليس عليهم إلا السمع والطاعة.

تلك هي رؤيتي الخاصة لجماعة الإخوان المسلمين، ويعلم الله أنني لم أتجنَ عليهم؛ فهذا أسلوبهم معنا، وطريقتهم التي سببت لنا ازعاجًا كبيرًا، وكم أتمنى أن يراجعوا أنفسهم، ويتخيروا أحد أمرين: إما العمل الدعوي بعيدًا عن السياسة، وإما السياسة بعيدًا عن الدعوة واستغلال الدين.

٨-الصوفية:

إنه مصطلحٌ شائعٌ ينتسب إليه كثيرٌ من عامة المسلمين، وتعتبر هذه الجماعة من أكثر الجماعات انحرافا عن العقيدة الصحيحة، ونلمس لها وجوداً بارزاً في المدن والقرى بما تحدثه من مظاهر وأمور يشاهدها العيان، فمن هم الصوفية؟

وفق الرؤية الإسلامية ليست مذهبًا، وإنما هي أحد أركان الدين الثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان، فمثلما اهتم الفقه بتعاليم شريعة الإسلام، وعلم العقيدة بالإيمان، فإن التصوف اهتم بتحقيق مقام الإحسان، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهو منهج أو طريق يسلكه العبد للوصول إلى الله، أي الوصول إلى معرفته والعلم به، وذلك عن طريق الاجتهاد في العبادات واجتناب المنهيات، وتربية النفس وتطهير القلب من الأخلاق السيئة، وتحليته بالأخلاق الحسنة.

وهذا المنهج كما يقولون يستمد أصوله وفروعه من القرآن والسنة النبوية واجتهاد العلماء فيما لم يرد فيه نص، فجعلوه علما سموه بعلم التصوف، أو علم التزكية، أو علم الأخلاق، فألفوا فيه الكتب الكثيرة، بينوا فيها أصوله وفروعه وقواعده، ومن أشهر هذه الكتب: قواعد التصوف للشيخ أحمد زروق، وإحياء علوم الدين للإمام الغزالي، والرسالة القشيرية للإمام القشيري.

وقد انتشرت حركة التصوف في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقا مميزة متنوعة، معروفة باسم الطرق الصوفية، والتاريخ الإسلامي زاخر بعلماء مسلمين انتسبوا للتصوف مثل: النووي، والغزالي، والعز بن عبد السلام،والقادة مثل: صلاح الدين الأيوبي، ومحمد الفاتح، وعمر المختار،وعز الدين القسام.

ونتج عن كثرة دخول الغير متعلمين والجهلة في طرق التصوف ممارسات خاطئة، عرّضها في بداية القرن الماضي لهجوم المتعلمين في الغرب باعتبارها ممثلة للثقافة الدينية التي تنشر الخرافات، ثم بدأ مع منتصف القرن الماضي الهجوم من قبل المدرسة السلفية باعتبارها بدعة دخيلة على الإسلام.

نشأتهم:

يُرجع الصوفية أصل التصوف كسلوك وتعبد وزهد في الدنيا، وإقبال على العبادات واجتناب المنهيرات، ومجاهدة للنفس وكثرة لذكر الله إلى عهد رسول الإسلام محمد - صلى الله عليه وسلم - وعهد الصحابة، وأنه يستمد أصوله وفروعه من تعاليم الدين الإسلامي المستمدة من القرآن والسنة النبوية، وكوجهة نظر أخرى يرى بعض الناس أن أصل التصوف هو الرهبنة البوذية، والكهانة النصرانية، والشعوذة الهندية، فقالوا: هناك تصوف بوذي وهندي ونصراني وفارسي، بينما يرفض الصوفية المسلمون تلك النسبة، ويقولون: بأن التصوف ما هو إلا التطبيق العملي للإسلام، وأنه ليس هناك إلا التصوف الإسلامي فحسب.

طرق الصوفية:

الطريق لغة: السيرة، وطريقة الرجل: مذهبه، يقال: هو على طريقة حسنة وطريقة سيئة، واصطلاحًا: اسم لمنهج أحد العارفين في التزكية والتربية والأذكار والأوراد، أخذ بها نفسه حتى وصل إلى معرفة الله، فينسب هذا المنهج إليه ويعرف باسمه، فيقال: الطريقة الشاذلية والقادرية والرفاعية نسبة لرجالاتها، وقد أخذ اسم الطريقة من القرآن: "وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا "([1]).

وتختلف الطرق التي يتبعها المشايخ في تربية طلابهم ومريديهم باختلاف مشاربهم وأذواقهم الروحية، وباختلاف البيئة الاجتماعية التي يظهرون فيها، فقد يسلك بعض المشايخ طريق الشدة في تربية المريدين، فيأخذونهم بالمجاهدات العنيفة، ومنها: كثرة الصيام والسهر وكثرة الخلوة والاعتزال عن الناس وكثرة الذكر والفكر.

وقد يسلك بعض المشايخ طريقة اللين في تربية المريدين، فيأمرونهم بممارسة شيء من الصيام وقيام مقدار من الليل وكثرة الذكر، ولكن لا يلزمونهم بالخلوة والابتعاد عن الناس إلا قليلاً، ومِن المشايخ مَن يتخذ طريقة وسطى بين الشدة واللين في تربية المريدين، وكل هذه الأساليب لا تخرج عن كتاب الله وسنة رسوله كما يقولون، بل هي من باب الاجتهاد، ولذلك يقولون: لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق.

وللطرق الصوفية شارات وبيارق وألوان يتميزون بها: فيتميز الرفاعية باللون الأسود، ويتميز القادرية باللون الأخضر، ويتميز الأحمدية باللون الأحمر، أما البرهانية فإنها لا تتميز بلون واحد كسائر الطرق بل تتميز بثلاث ألوان: الأبيض الذي تميز به إبراهيم الدسوقي، والأصفر الذي تميز به أبو الحسن الشاذلي ومنحه لابن أخته إبراهيم الدسوقي، والأخضر وهو كناية عن شرف الانتساب لأهل بيت رسول الإسلام محمد علي الصلاة والسلام.

[1] - سورة الجن آية (١٦) .

ومن أهم الطرق الصوفية المنتشرة في العالم الإسلامي:

اسم الطريقة	نسبتها	تاريخ الوفاة	أماكن الانتشار
الطريقة القادرية	الشيخ عبدالقادر الجيلاني	٥٦١هـ	العراق ومصر وشرق أفريقيا
الطريقة السعدية	الشيخ سعدالدين الجباوي	٥٧٥هـ	بلاد الشام
الطريقة الرفاعية	الشيخ أحمد بن علي الرفاعي	٥٧٨هـ	العراق ومصر وغرب آسيا
الطريقة الأحمدية أو البدوية	الشيخ أحمد البدوي	٦٢٧هـ	مصر
الطريقة الأكبرية	الشيخ محيي الدين بن عربي الملقب بالشيخ الأكبر	٦٣٨هـ	مصر
طريقة السادة آل باعلوي	الشيخ محمد بن علي باعلوي	٦٥٣هـ	اليمن وأندونيسيا وشرق آسيا والحجاز
الطريقة الشاذلية	الشيخ أبوالحسن الشاذلي	٦٥٦هـ	مصر والسودان والمغرب العربي واليمن وسوريا والأردن

الطريقة البرهانية الدسوقية	الشيخ إبراهيم الدسوقي	٦٧٦هـ	مصر والسودان
الطريقة النقشبندية	الشيخ محمد بهاء الدين شاه نقشبندي	٧٩١هـ	آسيا الوسطى وسوريا
الطريقة العروسية	الشيخ أحمدبن عروس	٨٦٩هـ	ليبيا
الطريقة العيساوية	الشيخ محمد بن عيسى	٩٣٣هـ	المغرب
الطريقة الخلوتية	الشيخ محمد بن أحمد بن محمد كريم الدين الخلوتي	٩٨٦هـ	مصروتركيا وفلسطين والأردن
الطريقة السمانية	الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان	١١٨٩هـ	السودان
الطريقة التيجانية	الشيخ أبو العباس أحمد التيجاني	١٢٣٠هـ	المغرب والسنغال وغرب أفريقيا
الطريقة الإدريسية	الشيخ أحمد بن إدريس الفاسي	١٢٥٣هـ	السودان والصومال
الطريقة المولوية	الشيخ جلال الدين الرومي	١٢٧٢هـ	تركيا وحلب
الطريقة الختمية	الشيخ محمد عثمان الميرغني الختم	١٢٦٧هـ	السودان وأريتريا وأثيوبيا

الطريقة السنوسية	الشيخ محمد بن علي السنوسي	١٢٧٦هـ	ليبيا وشمالي أفريقيا والسودان والصومال
الطريقة الكسنزانية	الشيخ عبد الكريم شاه الكسنزان	١٣١٧هـ	العراق
الطريقة العلاوية	الشيخ أحمد مصطفى العلاوي	١٣٥٣هـ	الجزائر
الطريقة المحمدية الفوزوية الكركرية	الشيخ محمد فوزي الكركري	١٣٩٦هـ	المغرب وفرنسا وأندونسيا وباكستان
الطريقة الجعفرية	الشيخ صالح الجعفري الحسيني إمام الأزهر	١٣٩٩هـ	المغرب والسنغال وغرب أفريقيا
الطريقة القادرية البودشيشية	سيدي علي بن محمد الملقب بسيدي علي بودشيش		المغرب

أما عن منهجهم العلمي فيرى الصوفية أنهم لا يكتفون بأن يوضحوا للناس أحكام الشرع وآدابه بمجرد الكلام النظري، ولكنهم بالإضافة إلى ذلك يأخذون بيد تلميذهم ويسيرون به في مدارج الترقي، ويرافقونه في جميع مراحل سيره إلى الله، يحيطونه برعايتهم وعنايتهم، ويوجهونه بحالهم وقولهم، يذكرونه إذا نسي، ويقوِّمونه إذا انحرف، ويتفقدونه إذا غاب، وينشطونه إذا فتر، وهكذا يرسمون له المنهج العملي الذي يمكنه أن يتحقق بأركان الدين الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان، ومن أهم الطرق العملية التي يطبقها رجال التصوف للوصول إلى رضا الله ومعرفته: العلم والصحبة ومجاهدة النفس وذكر الله والخلوة.

وليس المجال هنا للحديث عن كل هذه الطرق فهم متشابهون ولا أرى إفادة في شرح كل طريقة منهم فيكفي الإشارة إليهم.

عقيدتهم:

يعلن المتصوفة حاليا اعتقادهم حسب مبادئ عقيدة أهل السنة الأشاعرة التي انتشرت وسادت كمذهب عقيدي رسمي لأهل السنة والجماعة، بل وتبناها جمهور علماء أهل السنة والجماعة من الإمام النووي، والإمام ابن حجر العسقلاني، والإمام السيوطي، وغيرهم الكثير، فبالتالي فإن كتب المتصوفة الحديثة لا تخرج عن عقيدة أهل السنة سواءً أكانت أشعرية أوماتريدية، وذلك بالرغم أنهم يتبنون كتب ابن عربي والسهروردي التي تتهم من قبل الحركات السلفية وبعض الباحثين المعاصرين بأنها تتضمن ما يفيد بعقائد الحلول ووحدة الوجود، لكن المتصوفة يقولون:إن هذه الكتب ليست في متناول العوام، والعوام في نظر المتصوفة هو كل من لم يتمرس بالصوفية وممارساتها، وأنه بالإمكان حمل كلام ابن عربي والسهروردي على محامل نابعة من الإسلام، فالعوام غير قادرين على تذوق المعاني التي لا تتجلى إلا لمن حصل على الكشف الإلهي، بالتالي فهم

وحدهم من يمتلك حق التأويل لهذه الكتب والمقولات للشيوخ الكبار مثل ابن عربي والسهروردي.

ويرى الشيخ المسافر أن ابن عربي والسهروردي وابن سبعين فضلا عن جلال مسيرتهم في التصوف، ينتمون إلى ميدان الحكمة الفلسفية، وأن كثيرا من كتبهم فلسفية بامتياز، وإن لم تسم بذلك، ويشهد على ذلك إنتاج ذلك العدد الكبير من فلاسفة الغرب الذين أسسوا أطروحاتهم الفلسفية أو ضمنوها أجزاء من إنتاج المشايخ الأولياء الثلاثة، أو كما يطلق عليهم البعض (الفلاسفة العظام الثلاثة).

معتقدات وأفكار أخرى:

الكشف: هو نور يحصل للسالكين في سيرهم إلى الله؛ يكشف لهم حجاب الحس، ويزيل دونهم أسباب المادة نتيجة لما يأخذون به أنفسهم من مجاهدة وخلوة وذكر.

الفراسة: والتي تختص بمعرفة خواطر النفوس وأحاديثها، يقول ابن عجيبة: الفراسة هي خاطر يهجم على القلب، أو وارد يتجلى فيه، لا يخطئ غالباً إذا صفا القلب، وفي الحديث: (اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله)، وهي على حسب قوة القرب والمعرفة، فكلما قوي القرب، وتمكنت المعرفة صدقت الفراسة، لأن الروح إذا قربت من حضرة الحق لا يتجلى فيها غالباً إلا الحق.

الإلهام: وهو ما يُلقَى في الرُّوح بطريق الفيض، وقيل: الإلهام ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة، والإلهام عندهم إما أن يكون من قِبَلِ الله، أو من قبل ملائكته، يُفْهَم منه أمر أو نهي، أو ترغيب أو ترهيب.

العلم اللدني: ويتحدث عنه الصوفية والذي يكون في نظرهم لأهل النبوة والولاية، كما كان ذلك للخضر، حيث ورد ذلك في الآية القرآنية: "وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ".([1])

النبي محمد صلى الله عليه وسلم: ويعتقدون بالأخذ عنه يقظةً ومناماً. ويعتقدون بأنه باب الله ووسيلته العظمى إليه، وأنه بشر ولكن ليس كالبشر، ويعتقدون أن محبته شرط في الطريق، لذلك يكثرون من ذكره ومن الصلاة عليه، ومن مديحه وإنشاد الشعر فيه، ولهذه الأمور يكثرون من إقامة الموالد، والذي يقومون فيه بالإنشاد والوعظ والتحدث في سيرته وشمائله، ولا يجيزون فيه الاختلاط ولا باقي المحرمات.

الشيخ المربي: لابد في التصوف من التأثير الروحي، والذي يأتي بواسطة الشيخ الذي أخذ الطريقة عن شيخه حتى تصل سلسلة التلقي في سند متصل من الشيخ إلى الرسول محمد بن عبد الله، فيقولون: من لا شيخ له فشيخه الشيطان!

البيعة: يبايع فيه المريد المرشد، ويعاهده على السير معه في طريق التخلي عن العيوب، والتحلي بالصفات الحسنة، والتحقق بركن الإحسان، والترقي في مقاماته، وهو بمثابة الوعد والعهد.

التبرك: وهو طلب البركة من الله، والتوسل إليه بذلك المتبَرَّك به، سواء أكان أثرا أم مكانا أم شخصا، وهذه البركة كما يعتقدون تُطلب بالتعرض لها في أماكنها بالتوجه إلى الله ودعائه، ويستدلون بالقصص الكثير الوارد بتبرك الصحابة بالنبي محمد شعره وعرقه ودمه وموضع صلاته.

التوسل: هو أحد طرق الدعاء، وباب من أبواب التوجه إلى الله، والمتوسل به إنما هو واسطة ووسيلة للتقرب إلى الله، والتوسل حسب اعتقادهم يكون بالأنبياء أو الأولياء، أو

[1]- سورة الكهف آية (٦٥) .

يكون بالأعمال الصالحة للإنسان، وأعظم هذه الوسائل عندهم هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

القبور: اعتنى الصوفية بقبور الأنبياء والصالحين والأولياء، فشيّدوا حولها المساجد، وبنوا عليها القباب، وذلك حفاظا عليها من الاندثار، وضياع هذه المعالم، وأصبحوا يقصدونها طلبا للبركة، وطلبا لاستجابة الدعاء من الله عندها، ويرون أنهم بذلك متبعون لأئمة السنة، حيث يقولون: بأنه وردت نصوص من هؤلاء الأئمة على جواز البناء على قبور الصالحين والأولياء، وجواز قصدها للتبرك.

الصوفية في ميزان النقد:

إن رؤيتي للأشياء لا تكون من حيث الكلام لكن من حيث التطبيق على أرض الواقع، وما أراه بحسب رؤيتي الخاصة أنّ الصوفية قد انحرفت عن العقيدة الصحيحة انحرافا واضحا، فهي لا تختلف كثيرًا عن الشيعة، وما يحدثونه من بدع وأشياء تختلف كل الاختلاف مع السنة النبوية الصحيحة، فالإسلام واضح، ومعرفة الله واضحة، والطريق إليه واضح، وليس الأمر محتاجا إلى تعقيد أو نظريات فلسفية غامضة يختص بها البعض دون الآخر.

مع الأسف الشديد أن ما نراه عند الصوفية من طقوس وأشياء في الاحتفاء بالأولياء أمر في غاية الغرابة، لا يقبله عقل أو دين، ناهيك عن استغلال البعض لتلك الأضرحة من أجل التكسب بالمال، أو الترويج لسياسة ما، كما حدث عند مسجد الحسين من الصوفية والشيعة حينما أرادوا أن يلطموا الوجوه، ويشقوا الرؤوس في يوم عاشوراء، وكأنهم يريدون أن تعود مصر للعهد الفاطمي الغير مأسوف عليه.

أضف إلى ذلك تلك القداسة المبالغ فيها التي يخلعونها على ما يسمونهم بالأولياء كالسيد البدوي والدسوقي وغيرهما ممن لا نعلم لهم تاريخا ثابتا أو علما انتفع به الإسلام، وإنما هي قصص وأساطير وخرافات رويت عنهم حتى يبرروا ما يصنعون، وتجدر الإشارة إلى أمر آخر وهو أنهم قد أهملوا مفهوم العمل، وتناسوا أن العمل عبادة، وتفرغوا إلى ما يدعون أنه زهد في الدنيا، وكأنهم نسوا قول الله تعالى: " وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ " ([1])، وفي نهاية القول لا يوجد بين الله والعبد حائل، فليس العبد بحاجة للتوسل بهؤلاء.

[1] - سورة القصص آية (٧٧) .

٩- القرآنيون (منكري السنة):

نقف الآن مع جماعة أحدثت جدلاً واسعاً في أوساط المجتمع الإسلامي؛ حيث اتسع منبرهم الإعلامي، فوجدنا كثيرًا منهم عبر شاشات التلفاز ينشرون أفكارهم، ومن أشهر هؤلاء جمال البنا، وقد عُرفت الجماعة بأنهم القرآنيون فمن هم؟

هي واحدة من البدع الضالة القديمة، ظهرت في القرن الثاني الهجري، ثم وئدت فيبعض حالاتها بالحجة والحوار بين علماء الأمة وبين أهل هذه البدعة، لكن حالات أخرى اقتضت المواجهة لما استفحلت الفتنة، وأراد أصحابها أن يستبدلوا شريعة الله بشريعة الأهواء.

ومنذ بدايات القرن الثالث لم يسمع أحد، ولم يأت ذكر في كتب التاريخ أو الملل والنحل لهذه البدعة، حتى أتى الإنجليز إلى واحدة من مراكز الإمبراطوريات الإسلامية منذ قرن ونصف القرن من الزمان، ساعين إلى تأكيد سقوطها بكل الوسائل الممكنة، السياسية والاقتصادية والعسكرية، وعرفوا أن السبيل الأول لتحقيق هذه الأهداف لن يكون يسيراً قبل سقوط العقيدة الإسلامية الصحيحة من نفوس وقلوب وعقول المسلمين في الهند الكبرى، واستطاعوا من خلال أصحاب الشهوات والمطامع أن يخترقوا جدران الدعوة، وأن يصنعوا شرخاً بين صفوف الدعاة، وأن يوقظوا فتنة عاصفة بين علماء الأمة، مستغلين مساحة الجهل والأمية التي اتسعت رقعتها بين مجتمعات الإمبراطورية، فتصدع البناء، وانهارت الجدران لتسقط على رؤوس المسلمين، وتنتهي إمبراطورية الإسلام في الهند.

كانت تلك البدعة، هي الاكتفاء بأحد مصدريّ التشريع الإسلامي وهو كتاب الله الكريم، والاستغناء عن المصدر الثاني وهو السنة النبوية المطهرة، وذلك بالتشكيك بداية في شرعية هذه السنة، ثم التشكيك في صدق ما ورد بها من أحكام وتشريعات، ولتحقيق

هذين الهدفين المتلازمين، أُتخذت سبلٌ عديدة، تعتمد التشكيك في متن الأحاديث، وطرق روايتها، والرواة، ومن ثم إسقاط الأحكام التي وردت بها.

ومن الهند انتشرت هذه البدعة إلى العراق ومصر وليبيا وأندونيسيا وماليزيا وغيرها من بلاد المسلمين.

نشأتهم وتطورهم:

يمكننا التأريخ لنشأة فرقة منكري السنة النبوية بظهور فرقة الشيعة وموقفهم العدائي من صحابة رسول الله - رضي الله عنهم - بعد بيعتهم لأبي بكر الصديق إماماً وخليفة للمسلمين، وأرادوا ألا يؤم المسلمين أحدٌ من غير بيت النبوة إلى يوم القيامة، ورفض كل ما يأتي من أخبار وروايات وأحاديث عن طريقهم، بعد أن حكموا عليهم بالكفر والخروج من ملة الإسلام. ومن أثر شطط الأحكام الضالة لفرقة الخوارج نسب إليهم الإمام البغدادي إنكار السنة جملة وتفصيلاً.

أفكارهم ومعتقداتهم:

١- اعتبار القرآن الكريم المصدر الوحيد للشريعة الإسلامية دون سواه.
٢- استبعاد كل المصادر الأخرى المشكلة للشريعة الإسلامية كالسنة والسيرة والتفسير والقياس والاجتهاد والإجماع وفتاوى الأئمة.
٣- وفيما يتعلق بالسنة النبوية على وجه التحديد، فقد وجّه القرآنيون سهامه منحوها، وأبعدوها من مذهبهم، منكرين أنها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، بل ومنكرين لها جملة وتفصيلاً بزعم أنها غير محفوظة مثل القرآن، وأن نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم غير يقينية.
٤- ادعاؤهم بأن الصوم في شهر شعبان، وليس في رمضان.

٥- اعتبارهم أن الكعبة صنم، وأن الطواف حولها من طقوس الوثنيين في الجاهلية.

٦- ينكرون وجود النسخ بأقسامه الثلاثة: نسخ الحكم، ونسخ التلاوة، ونسخ الحكم والتلاوة في القرآن الكريم، معللين ذلك بقولهم: الإقرار بوجود الآيات المنسوخة في القرآن يستلزم مخالفة القرآن نفسه، إذ يوقع الجرح في العلم الإلهي بحيث أن بعض أحكام القرآن استلزم النسخ لعدم مسايرتها الظروف الزمنية.

٧- يرى بعضهم بعدم وجود للمجمل في القرآن الكريم، كما يختلفون في مسألة تخصيص القرآن، وتقييده بغيره، إذ قال بعضهم: "وإن القرآن الكريم برئ من عيب الإجمال، والإطلاق كبراءة الله وطهارته، لأنه لا يتصور تخصيص العام أو تعميم الخاص، أو تقييد المطلق أو إطلاق المقيد إلاّ من المتكلم، أو ممن هو أعلى منه، لا ممن يساويه في الرتبة، وكيف من المخلوق في كلام الخالق.

٨- يعتمدون في فهم القرآن وتفسيره على اللغة العربية فقط، وذلك بسبب استبعادهم للسنة النبوية الموضحة والمفصلة للقرآن، فصرفوا الآيات والأحكام عن مرادها، ومن أمثلة ذلك قول الحافظ محمد أسلم منتقداً المفسرين لعدم سلوكهم هذا المسلك: " المفسرون يبحثون عن غير القرآن أكثر منه في القرآن..، وإن القرآن لو نظرنا إليه بعين بصيرة لوجدناه مفصّلاً، ففيه تفسير حقائقه، وحل مشكلاته، وشرح مصطلحاته، وكل ذلك يعود فهمه إلى تعلم العربية، فمنعرف العربية فهم القرآن دون معونة أي علم آخر.

وقد جاء في تفسيرهم للطواف مثلاً قولهم: " ليس معنى الطواف أن تدور حول البيت، بل معناه أن نتردد إليه بين الحين والآخر.

٩- تبني نظرية مركز الملّة التي تعني أن الآيات التي تأمر بطاعة الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - غير مختصة بهما، إنما تعني طاعة الحاكم أو الإمام الذي يتولى منصب النبي - صلى الله عليه وسلم – من بعده. وقد أعطوا لهذا المركز صلاحيات تعيين حكم الشرع في الأحكام التي لم يرد ذكرها في القرآن، دون أن

يلتزم بما سبقته من الأنظمة، والتمتع بالتحريم والإطلاق والتقييد لما يراه غير موافق لظروفه من الأحكام القرآنية.

١٠-وفي الجانب الاقتصادي، يروجون للنظرية الاشتراكية، التي تبنتها الشيوعية ويطلقون عليها (نظرية نظام القرآن الاقتصادي)، وتعني سيطرة الدولة على الثروات ووسائل الإنتاج، وإلغاء الملكية الفردية، يقول غلام برويز: " يجب على الدولة الإسلامية أن تلبي جميع حاجيا تشعبها "، "وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا" [١]، وبنص الآية تضمن الدولة جميع متطلبات شعبها، وهي التي تقول لهم: "نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ "[٢] ويقول أيضا: "في ظل هذا النظام لا يجوز جمع المادة البتة، وقد جاء الوعيد الشديد على من يجمعها، قال تعالى: "وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ "[٣].

وفي النظام القرآني لا يمكن البقاء للأموال النافلة في أيدي أصحابها ، ولا سيما أن نتصور الملكية الفردية تحت حكم هذا النظام، بل تعمم الأرض والأموال والمصانع والتجارة للملكية الجماعية، حتى يستطيع هذا النظام القيام بتلبية ما يحتاج إليه أفراده.

١١- إنكار وقوع خوارق العادات من محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته من بعده، ما عدا معجزة القرآن، يقول الحافظ أسلم: " لم يعط النبي - صلى الله عليه وسلم - معجزة سوى القرآن، بينما الأحاديث ذكرت له معجزات حسّية كثيرة.

١٢-ذهب بعضهم إلى القول بأن المسيح عيسى بن مريم ولد من أبوين شرعيين، لا من مريم وحدها، كما صرح بعضهم بعدم عودته إلى الأرض مرة أخرى، وقالوا

---

[١]- سورة هود آية (٦).
[٢]- سورة الإسراء آية (٣١) .
[٣] - سورة التوبة آية (٣٤) .

بأن معتقد العودة دخل إلى الإسلام من المسلمين الذين كانوا نصارى قبل الإسلام.

١٣- ينكر القرآنيون الحياة البرزخية في القبر، أما الجنة والنار فذهب بعضهم إلى أنهما (أماكن حقيقية ستخلق يوم القيامة، وأنه لا وجود لهما حالياً)، وذهب فريق ثانٍ إلى: (أن الجنة والنار وما وصفتا به من نعيم وعذاب صورتان تمثيليتان)، ورأى فريق ثالث أن: "الجنة والنار طور من أطوار الحياة البشرية، وإن نمو الحياة وازدهارها يعني حياة الجنة، وتوقفها وعدم الرقي فيها يعني حياة الجحيم والنار".

١٤- لهم آراء في الميراث تخالف ما عليه أهل السنة، مثل اعتقادهم بأن اختلاف الدين بين الوارث والمورث لا يمنع من الميراث، وأن الأنبياء يورثون، وأن الرق لا يمنع من الميراث، وأن أولي الأرحام هم من يرتبط الميت بهم بصلة الرحم والقرابة، فيدخل فيهم الأب والأم والأولاد والإخوة والأخوات والأعمام وأبناء الإخوة.

القرآنيون في ميزان النقد:

الحقيقة العارية تقول: إن هذه الجماعة تمثل خطرا داهما على الإسلام، شأنها شان الشيعة لما لها من نشاط ملموس، ومنابر إعلامية كثيرة، وجدت من العوام أذنا مصغية، ترتب عليها ما يلي:

١- حملة تشكيك واسعة في صحيحي البخاري ومسلم، تلك الحملة التي رأيناها من أشخاص ليس لهم أية علاقة بعلوم الدين، فمنهم المحامي والفنان والصحفي ومن لا عمل له، ومع الأسف الشديد هؤلاء قد وجدوا منابر بعد ثورة ٢٥ يناير يطقون منها سمومهم وأفكارهم.

٢- ظهرت أفكار جديدة مبنية على التأويل الخاطئ من هؤلاء عقب إنكارهم للسنة النبوية الشريفة، من مثل مساواة المرأة للرجل في الميراث، وعدم القول بفرضية الحجاب، وعدم التعدد في الزوجات، حتى رأينا دولة مثل تونس تشرع قانونا يجرم التعدد ويساوي بين الرجل والمرأة في الميراث.

٣- أصبح هؤلاء القرآنيون وسيلة سهلة لمن يريد ضرب الإسلام من أعدائه، وأثبتت التحقيقات اعتقاد عن تقاضي بعضهم للأموال، فضلا عن انتسابهم لمراكز بحوث مشبوهة، وأشيد هنا بالدولة المصرية التي تصدت لبعضهم بتطبيق قانون ازدراء الأديان، وعلى رأسهم إسلام البحيري، ومحمد عبد الله نصر (الشهير بميزو).

وبعد فيجب على الأزهر ألا يغفل عينيه عن هؤلاء، فهو الحامي لعقيدنا الصحيحة، المتمثلة في الكتاب والسنة، وهو القلعة الراسخة، وحائط الصد الرصين أمام كل من يريد العبث في العقيدة الإسلامية.

١٠- التبليغ والدعوة:

وقد رأيت أن أختم حديثي عن الفرق والجماعات الإسلامية في عصرنا الحاضر مع جماعة أخرى من الجماعات الإسلامية، لكنها تختلف كل الاختلاف مع الجماعات السابقة التي تبنت الفكر العسكري في كثير من الأحيان، هذه الجماعة قد اتخذت من العلم الدعوي ونشر الإسلام الصحيح فكراً وطريقاً ارتسمته لنفسها، وهذا أمرٌ يستحق الإجلال والتقدير، إنها جماعة التبليغ والدعوة، وهي جماعة إسلامية متجولة، وهبت نفسها للدعوة بالحسنى والزهد في الدنيا، وأسلوبها يعتمد على الترغيب والترهيب والتأثير العاطفي.

بدأت دعوتها في الهند، وقد استطاعت أن تجذب إلى رحابها خلقا كثيرا، وهي تقوم بأمرين أساسين: الأول: تبليغ من لم تبلغه الدعوة الإسلامية، وهدايته إلى الإسلام بالسماحة التي اكتسبوها ومُرّنوا عليها بكثرة المجاهدة والذكر، والثاني: دعوة العاصين من المسلمين إلى الصلاة أولا بوصفها عماد الدين، ولأنها كما يذكر القرآن " تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ"،(١) ثم يخرجون بهم للدعوة في سبيل الله أياما ليروا صورة من صور إيمانهم وإخلاصهم والمحبة بينهم، وهذه الجماعة على كبر حجمها ليس لها ناطقٌ رسميٌّ ولا ممثل أو مخاطَب معتمد.

---

[١]- سورة العنكبوت آية (٤٥) .

نشأتها:

تأسست جماعة التبليغ والدعوة على يد الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (١٣٠٣ – ١٣٦٤هـ)، ولد في كاندهلة، قرية من قرى سهارنفور بالهند، ومركزها في دِلهي العاصمة الهندية، ولا يعرف إلا القليل عن مؤسسها، فهو من أصحاب المربّي الروحي عبد القادر الراي بوري، وكان أبو الحسن علي الحسني الندوي الكاتب الإسلامي المعروف أحد أصدقائه المتواصلين معه منذ التقائهما عام ١٩٣٩م، ويذكر أن الجماعة تأسست عام ١٩٢٦م ، حيث كان مؤسسها محمد إلياس أول أمير لها حتى وفاته، ثم ابنه محمد يوسف ثم إنعام الحسن، وهذه الجماعة ترجع إلى الماتريدية، لكن لاتنشر مذهبها لأنها إن نشرته عارضها الناس، ولم يقبلوا دعوتهم.

انتشرت الجماعة سريعا في الهند ثم في باكستان وبنغلاديش، وانتقلت إلى العالم الإسلامي والعالم العربي، حيث صار لها أتباعٌ في سوريا والأردن وفلسطين ولبنان ومصر والسودان والعراق والسعودية وقطر، وبعد ذلك انتشرت دعوتها في معظم بلدان العالم، ولها جهود في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في أوروبا وأمريكا.

اعتقاداتهم:

وتنتمي جماعة التبليغ والدعوة إلى أهل السنة والجماعة في كل عقائدهم، ولهم بعض التعاليم تجعل منهم تيارا خاصا، وهي كما يلي:

- ينهون عن المنكر، ولكنهم لا يتعرضون إلى قضية النهي عن المنكر كبلاغ جماعي معتقدين بأنهم الآن في مرحلة إيجاد المناخ الملائم للحياة الإسلامية، وأن القيام ببلاغ كهذا قد يضع العراقيل في طريقهم وينفّر الناس منهم.

- يعتقدون بأنهم إذا أصلحوا الأفراد، فرداً فرداً، فإن المنكر سيزول من المجتمع تلقائياً.
- إن الخروج والتبليغ ودعوة الناس هي أمور لتربية الداعية ولصقله عملياً؛ إذ يحس بأنه قدوة، وأن عليه الالتزام بما يدعو الناس إليه، فالخروج ليس هدف ولكنه وسيلة لتعلم اليقين، وزيادة الإيمان ولتعلم أصول الدعوة وآدابها.
- يبتعدون كل البعد عن الخوض في الخلافات المذهبية اتقاء الجدال والانقسام والعداوة.
- لا يتكلمون في السياسة، وينهون أفراد جماعتهم عن الخوض فيها، وينتقدون كل من يتدخل فيها، ويقولون بأن السياسة هي ترك السياسة.

طريقتهم في الدعوة:

لهذه الجماعة أصول للعمل، تعارفوا عليها، وتوافقوا على تطبيقها في مجال الدعوة في الحضر والسفر، ولم يكتبوها في كتب، لكنهم تواصوا بها وتوارثوها، وتقوم على ما يلي:

- إذا خرجوا للدعوة أمرّوا عليهم أحدهم، فليس لديهم مناصب محددة، ولا وظائف دائمة.
- تنتدب مجموعة منهم نفسها لدعوة أهل بلد ما، حيث يأخذ كل واحد منهم فراشاً بسيطاً، وما يكفيه من الزاد، والقليل من المال على أن يكون التقشف هو السمة الغالبة عليه.
- عندما يصلون إلى البلد أو القرية التي يريدون الدعوة فيها ينظمون أنفسهم أولاً بحيث يقوم بعضهم بالخدمة وبتنظيف المكان الذي سيمكثون فيه، وآخرون يخرجون متجولين في أنحاء البلدة والأسواق والحوانيت، ذاكرين الله داعين الناس لسماع الخطبة، أو البيان كما يسمونه.

- إذا حان موعد البيان التقوا جميعاً لسماعه، وبعد انتهاء البيان يطالبون الحضور بالخروج في سبيل الله، وبعد صلاة الفجر يقسّمون الناس الحاضرين إلى مجموعات، يتولى كل داعية منهم مجموعة يعلمهم الفاتحة وبعضا من قصار السور، حلقات حلقات، ويكررون ذلك عدداً من الأيام.
- قبل أن تنتهي إقامتهم في هذا المكان يحثون الناس على الخروج معهم للتبليغ والدعوة، حيث يتطوع الأشخاص لمرافقتهم يوماً أو ثلاثة أيام أو أسبوعاً أو شهراً، كلٌّ بحسب طاقته وإمكاناته ومدى تفرغه، والجماعة تحدّد طريقة لترتيب الخروج أن يكون يوماً في الأسبوع، وثلاثة أيام في الشهر، وأربعين يوماً في السنة، وأربعة أشهر، وهذه لتسهيل عملية السفر والتنقل، وهي ليست بشرط، بل يمكن أن تكون المدد أقل أو أكثر.
- يرفضون إجابة الدعوة إلى الولائم التي توجه إليهم من أهل البلدة أو الحي؛ حتى لا ينشغلوا بغير أمور الدعوة والذكر، وليكون عملهم خالصاً لوجه الله.
- لا ينزلون ضيوفا على أحد، ويقيمون في المساجد.
- لا يعتمد بعضهم على بعض في النفقات، بل كل واحد منهم ينفق على نفسه من ماله الخاص في السفر والحضر، فلا تكاد تجد واحدا منهم يعيش عالة على أخيه، وهم يتعاونون ويكرمون بعضهم البعض.
- لا يهتمون بالعمل لإقامة دولة الخلافة الإسلامية عن طريق الصراع الفكري والكفاح السياسي.
- يعتمدون بصفة كبيرة على قيام الليل في طريقتهم في الدعوة، وفي ذلك التضرع والبكاء بين يدي الله حتى يهدي الله من دعوهم في النهار، فهم يُعرفون بقيامهم الليل، وأنه ركيزة في الدين.

ومن هذا كله فإنني أرى أنها أفضل الجماعات الإسلامية علي الإطلاق؛ حيث إنها فهمت مقتضيات العصر التي تعيش فيه، وطبيعة البشر التي تعيش على تلك الأرض الحافلة بالصراعات والمتناقضات الفكرية والسياسية، فابتعدت عن هذا كله، ورأت أن في نشر الدعوة السبيل إلى إصلاح هذا الإنسان، بعيدا عن الإملاءات أو الأفكار التي تخالف العقيدة الصحيحة التي تربينا عليها، لكن لي ملاحظة وهي: أن الدعوة لا ينبغي أن تكون بمنأى عن مشكلات العصر، فيجب أن يكون هناك تفاعل مع شرائح المجتمع المختلفة، ومواكبة العصر في وسائل التكنولوجيا، حيث إنني لم أرَ منبرا إعلاميا لتلك الجماعة بجانب المسجد، فوسائل التكنولوجيا تمتاز بسرعة انتشارها، ولو سعت هذه الجماعة إلى توظيفها فيما يخدم الدعوة لكانت الفائدة أعظم وأعم.

الخاتمة

بتوفيق الله وحمده أتممت كتابي هذا عن الفرق والجماعات، وقد التزمتُ فيه بعقلية المسلمة المعتدلة، المتمسكة بكتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - المتابعة لمتغيرات العصر المتقلب بصراعاته الشديدة، ولا يمكن أن ننكر دور العولمة التي أعطت المجال للجميع بالتحدث وإيصال رأيه إلى أي مكان على أرض المعمورة، فما كان مبهما بالأمس أصبح ظاهراً اليوم، وبما أن الإسلام قد ظهرت فيه منذ البداية ما يعرف بالفرق والجماعات، كان لزاماً عليّ أن أحاول إعطاء صورة مبسطة عن تلك الفرق والجماعات، قاصدة من ذلك تبصير وتنوير عقلية المسلم البسيط الذي لا يعرف الكثير عن هذه الفرق والجماعات، وإنما يكتفي بسماع اسمها دون أن يدري شيئًا عن تاريخها أو نشأتها أو عقيدتها، وهل هي صحيحةٌ أم لا؟

كل هذا منحني المزيد من القوة والإصرار لإنشاء هذا الكتاب مع علمي بصعوبة الخوض في مثل هذا الحديث، لكنني لا أنكر أنني قد حاولت أن أعدد مصادري التي أقتبس منها معلوماتي، وبعد جهد شاق استطعتُ أن أرسم صورة موجزة لهؤلاء الفرق والجماعات، وأستطيع أن أقدم للقارئ أهم النتائج التي توصلت إليها:

١- إن مفهوم الفرقة والجماعة هو مفهوم قديم، كانت بدايته مع بداية دعوة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وكان الدافع الأساسي له إما العصبية، أو الفهم الخاطئ، أو هدم الدين من داخله.

٢- لا شك أن الشرارة الأعظم في نشأة تلك الفرق ترجع إلى ذاك الخلاف الذي حدث بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما - ولا أبالغ إذا قلتُ: إنّ هذا الخلاف قد ترك

أثراً نلمسه يوماً بعد يومٍ حتى عصرنا الحاضر، وأظن أنه سيستمر في العصور القادمة.

٣- لا يمكن أن أنكر الدور البارز الذي لعبته الفلسفات الغربية، وبعض الديانات التي كان عليها بعض المسلمين قبل دخولهم الإسلام في تغذية مفهوم الفرقة والجماعة؛ بما أدخلوه من نظرات فلسفية، ومفاهيم مستحدثة، لا تتفق بالطبع مع المفهوم الإسلامي الصحيح.

٤- لا شك أن التهافت على المناصب السياسية كان له الدور الأعظم في بروز هذه الفرق والجماعات؛ حيث ادعى الكثير منها أنه صاحب مذهب أو صاحب فكر، بل منهم من وصلت به الدرجة إلى ادعاء النبوة والألوهية في بعض الأحيان، كل هذا من أجل الحصول على مكانة بارزة، أو منصبٍ مرموقٍ، أو حفنةٍ من المال تجعل منه شخصية بارزة بين الناس.

٥- ولا يمكن هنا أن ننكر حقيقة يجب الاعتراف بها دون أن ندفن رؤوسنا في الرمل كالنعام، ألا وهي: إن الكثير من المصادر والمؤلفات التاريخية والمتداولة بين أيدي عامة المسلمين تحمل بين صفحاتها الكثير من المفاهيم والأحداث والأحاديث التي رواها البعض دون دقة وإمعان، ناهيك عن بعض التأويلات الشاذة لبعض آيات القرآن الكريم.

٦- لا شك أن هناك من هذه الفرق والجماعات في عصرنا الحاضر من لا يعرف الكثير عن مفهوم الإسلام الصحيح، وإنما توارث عقيدته أبًا عن أبٍ، ومن هنا وجبت أن تتحرك الآلة الإعلامية سواء أكانت من خلال الإعلام المسموع أم المقروء، حتى يبصر هؤلاء بأنهم قد نشأوا على مفاهيمَ خاطئةٍ، لا تتفق مع أصول الإسلام وقواعده.

٧- يجب على كل مسلم كيس فطن أن يقوم بوعي شامل، يحذر فيه عامة المسلمين من خطر هذه الفرق والجماعات، التي أصبح لها نشاطٌ ملحوظٌ وملموسٌ مستغلين ضعف عقلية بعض المسلمين، وجهلهم بعقديتهم الصحيحة.

٨- يجب على الفقهاء والعلماء الذين نشهد لهم بالعلم والتقوى أن يلتفتوا إلى ضرورة مراجعة المصادر والمؤلفات والسِيَر، التي كُتبت من صدر الإسلام وعبر القرون التي تلت ذلك، حتى يقوموا على تنقيتها من الشوائب، وتبيان الصحيح منها والزائف، كل هذا حتى لا نعطي فرصة إلى أعداء الإسلام، ونكتفي بدور المدافع فقط، فعليهم أن يبينوا ويوضحوا ويدحضوا ادعاءات البعض، مثل زكريا بطرس الذي لا يتوانى عن مهاجمة الإسلام والمسلمين من خلال استدلاله ببعض المؤلفات والمصادر التي تحدثتُ عن أهمية مراجعتها، وكذلك الشيعي ياسر الحبيب الذي لا يتوانى عن سب أم المؤمنين عائشة والصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين - كل هذا وفق منهج علمي واضح وسليم.

٩- يبقى الأزهر هو المؤسسة الدينية الوحيدة التي تحفظ للإسلام وسطيته واعتداله، فهو النموذج الأمثل للدعوة الصحيحة بفضل علمائه الأجلاء، الذين نشروا الإسلام في شتى بقاع الأرض.

١٠- أنا لا أميل إلى إلصاق تهمة الكفر بأي فرقة أو جماعة، إلا إذا خالفت ما هو معلوم من الدين بالضرورة، سواء قولا أو فعلا، كما أنني أبغض العنف بشتى صوره، فالإسلام لم ينشر إلا بالحكمة والسماحة.

وبعد فأرجو من الله تعالى أن تكون هذه البداية، وأن أرى غيري قد سار على نهجي في هذا الكتاب، لأن الأمر جِد خطير، وأرجو أيضاً أن يكون هذا الكتاب بمثابة إضافة علمية تضاف إلى المكتبة الإسلامية، وأن ينفع به غيري من طلبة العلم، وإن اعتراه نقص فإني بشر، والكمال كله لله.

"ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين" .

وصلِّ اللهم وبارك على خير البرية محمد عليه أفضل الصلاة وأجل التسليم.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- السنة النبوية الشريفة

٣- صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج (دار طيبة – سنة ١٩٩٦) .

٤- صحيح البخاري – محمد بن إسماعيل البخاري (دار بن كثير – سنة ٢٠٠٢) .

٥- صحيح سنن الترمذي –محمد ناصر الألباني (مكتبة المعارف– سنة ١٩٩٨) .

٦- سنن بن ماجه – محمد بن يزيد بن ماجه (دار إحياء الكتب العربية)

٧- سنن أبو داوود – سليمان بن الأشعث أبو داوود (دار الرسالة العلمية – سنة ٢٠٠٩) .

٨- السيرة النبوية- عبد الرحمن بن عبد الله بن هشام (دار الصحابة للتراث)

٩- النص والاجتهاد – السيد بن الحسين شرف الدين (دار القارئ للطباعة – سنة ٢٠٠٨) .

١٠- مشكاة المصابيح – محمد بن عبد الله الطيب العمري (المكتب الإسلامي – سنة ١٩٨٥) .

١١- شرح الطحاوية – لابن أبي العز (المكتب الإسلامي سنة -١٩٨٤)

١٢- الاعتصام إبراهيم بن موسى الشاطبي الغرناطي (مكتبة التوحيد – سنة ٢٠٠٨)

١٣- الموافقات – إبراهيم بن موسى الشاطبي (دار بن عفان – سنة ٢٠٠٨) .

١٤- مفاتيح الغيب – فخر الدين الرازي (دار الفكر – سنة ٢٠٠٨).

١٥- تاريخ الدعوة الإسلامية – د .مصطفى غالب (دار الأندلس – سنة ٢٠١٦) .

١٦- طائفة الإسماعيلية – محمد حسين كامل (مكتبة النهضة المصرية - سنة ١٩٥٩) .

١٧- الإسماعيلية – إحسان إلهي نظير (لاهور – باكستان) .
١٨- الإمامة في الإسلام د/ عارف تامر (دار الأضواء – بيروت)
١٩- مفاتيح المعرفة د/ مصطفى غالب (مؤسسة عز الدين للطباعة) .
٢٠- أربع رسائل إسماعيلية د/ عارف تامر (دار الكشاف)
٢١- الملل والنحل – أبو الفتح محمد الشهرستاني (مؤسسة الحلبي)
٢٢- كشف أسرار الباطنية – محمد بن مالك اليماني (مكتبة السباعي).
٢٣- الحركات الباطنية – د/ محمد الخطيب (مكتبة الأقصى – عمان) .
٢٤- الفصل في الملل و الأهواء و النحل – أبو محمد القرطبي الظاهري (مكتبة الخانجي – القاهرة) .
٢٥- مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين – أبي الحسن الأشعري (مكتبة النهضة المصرية) .
٢٦- أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى – محمد عبد الهادي المصري (دار الإعلام الدولي – سنة ١٩٩٢) .
٢٧- سياسات السلفية الإحيائية الجديدة – حسن أبو هيبة
٢٨- تاريخ المذاهب الإسلامية – محمد أبو زهرة (دار الفكر العربي)
٢٩- المنتظم في التاريخ – عبد الرحمن بن الجوزي (دار الكتب العلمية – سنة ١٩٩٥) .
٣٠- الشريعة – أبو محمد الآجري البغدادي (دار الوطن - سنة ١٩٩٩) .
٣١- الفتن – نعيم بن حماد المروزي (مكتبة التوحيد – ٢٠١٠) .

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	٣
المقدمة	٥
تمهيد	٨
الفصل الأول: الفرق الإسلامية	٢١
الخوارج وأسباب خروجهم	٢٤
الإباضية	٢٦
الشيعة	٣٠
الإمامية (الاثنا عشرية)	٣١
العلويون	٣٩
الزيدية	٤١
الإسماعيلية (الباطنية)	٤٣
القرامطة	٤٩
العبيدية	٥٥
النصيرية	٦١
الدروز	٦٢
الميمونية	٦٧
السنانية	٦٨
البابية	٦٨
البهائية	٦٩
القاديانية (الأحمدية)	٧٢
النزارية	٧٤
الأغاخانية	٧٧
البهرة	٨٣

المرجئة	٨٧
القدرية	٨٨
المعتزلة	٨٩
الجبرية (الجهمية)	٩٤
أهل السنة والجماعة	٩٥
الأشاعرة	٩٦
الماتريدية	٩٩
الظاهرية	١٠٠
الأثرية	١٠١
الفصل الثاني: الجماعات الإسلامية	١٠٣
السلفية	١٠٦
الوهابية	١١٥
القاعدة	١١٩
الجهاد الإسلامي	١٢٩
داعش	١٣٢
حزب التحرير	١٣٨
الإخوان المسلمون	١٤٢
الصوفية	١٥١
القرآنيون (منكري السنة)	١٦٢
التبليغ والدعوة	١٦٨
الخاتمة	١٧٣
المصادر والمراجع	١٧٧